أشكو إليك زوجي

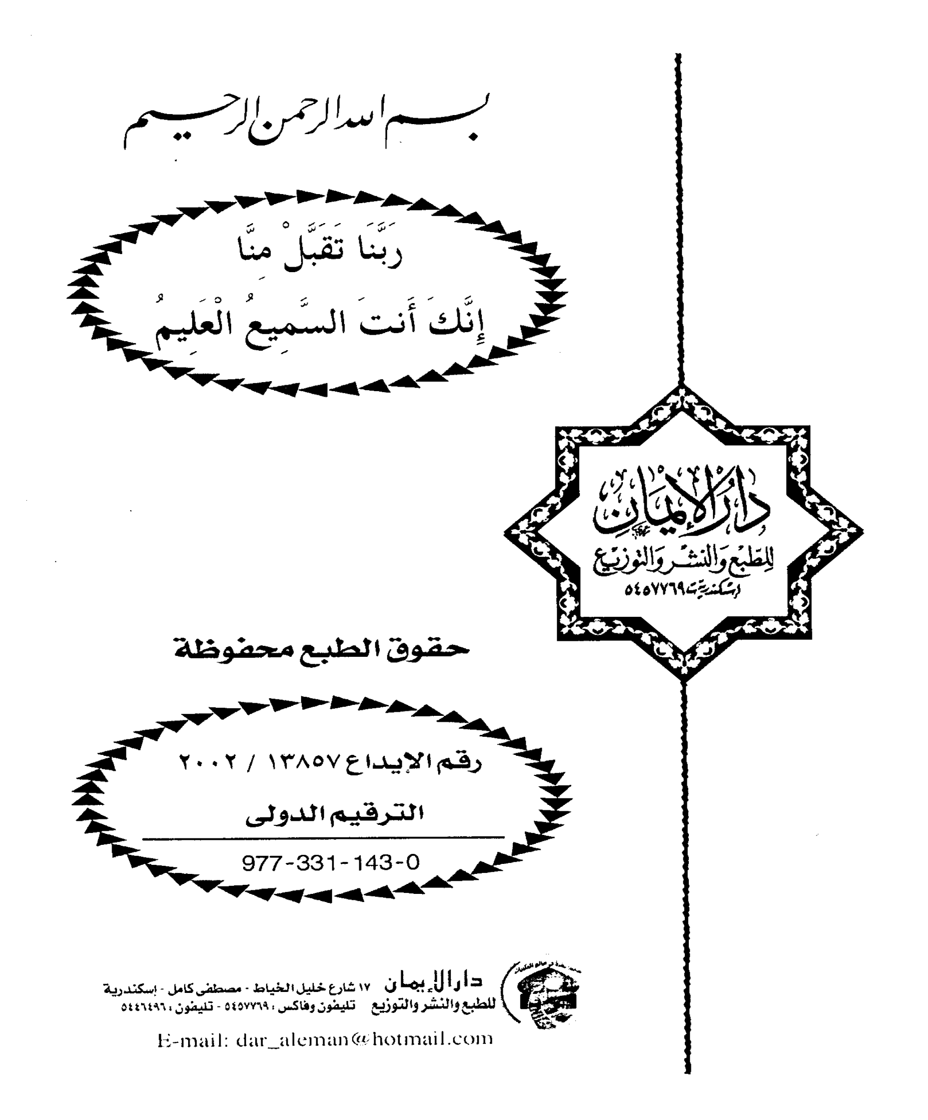
بقلم

عصام محمد الشريف
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

أشكو إليك زوجي



بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

رقم الإيداع ١٣٨٥٧ / ٢٠٠٢

الترقيم الدولى

977-331-143-0

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس : ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون : ٥٤٤٦٤٩٦
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

تقـــديـم

الحمـد لله رب العالمين، والصـلاة على إمام المرسـلين، وقدوة الناس أجـمعين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له، وأشهد أن محمدًا عـبده ورسوله: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (سورة الفرقان: ٧٤). ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (سورة آل عمران: ١٦).

أما بعد:

فإن أسعد الناس حظًا من حظي خلال رحلة العمر بحياة زوجية موفقة، ومعطرة بعطر الحب والتراحم والفهم والوفاء والرغبة المشتركة في السعادة.

لذلك فإن المرأة تشعر بالسعادة والاطمئنان والاستقرار إذا ما وفقت إلى الاختيار الصحيح لشـريك حياتها، فأنعم الله عليـها بزوج يقيها هموم الدنيـا وهموم الآخرة. ومن الأخطاء التي نقع فيها كثيراً - رجـالاً ونساءًا - هو عدم تقبل الأخطاء من الغير، وكأننا ملائكة نمشي على الأرض لا نخـطئ أبدًا، مهما تحلينا بصفات جـميلة أخرى. وهذا مخالف للواقع ولطبيعة البشـر، لذا كان لابد من خلق العفو والصفح والتسامح والإيثار بين الزوجين، حتى تسير سفينة الحياة الزوجية هادئة إلى طريقها الصحيح.

وهذه الرسالة التي بين يدي القـارئ الكريم هي مجموعـة من شكاوي النساء من أزواجهن، نحاول تشخيص المرض وكيفيـة علاجه، والموفق من وفقه الله تعالى لمعرفة عيوبه وإصلاحها، وعدم التكبر أو العناد في تقبل النصيحة إذ:

من ذا الذي ترضى سـجـاياه كلهـا ❖❖❖ كـفى بـالمرء نبـلاً أن تُعَـدَّ مـعـايبـه

يا أيها الزوج الحبيب:

ماذا يكلفك لو أنك تلقى زوجتك وأولادك بوجه طَلْق باسم سعيد؟! هل يُضيرك شيء لو قابلت زوجتك عند دخولك البيت بكلمة طيبة وقبلة حانية تسعدها بهما سعادة تهز أركان مشاعرها كلها؟!

هل يشق عليك أن تدلل زوجتك بين الحين والآخر، وتكثر من التبسط معها والنزول إلى مستواها؟!

ماذا عليك لو أنك دائم الثناء على زوجتك في ملبسها وجمالها ورائحتها وطعامها، فإن ذلك له أثر السحر في قلب أي امرأة؟!

إن الزوج الصالح هو الذي يؤدي ما عليه من حقوق وواجبات تجاه ربه وتجاه أهله ويعطي كل ذي حق حقه بإخلاص وصدق ورغبة عند الله تعالى في الأجر والثواب. والنبي ﷺ عندما قال: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم»، إنما يشهد شهادة عظيمة لكل زوج يحسن عشرة زوجته، شهاده له بالخيرية مقرونة بكمال الإيمان وخلق ذوي المروءة الكرام.

فاحرص أيها الزوج المسلم على الانتظام في سلك الصالحين، الخيار الأبرار، وذلك بالسير على نهج خير الأزواج محمد ﷺ، كي تحيا حياة طيبة: سعادة في الدنيا، ونعيمًا في الآخرة إن شاء الله.

أفكر في موتي وَبعْدُ فضيحتي ❖❖❖ فيحزن قلبي من عظيم خطيئتي

وتبكي دمًا عيني وحُقَّ لها البكا ❖❖❖ على سوء أفعالي وقلة حيلتي

فما لي إلا الله لا أرجُ غيره ❖❖❖ ولاسيما عند اقتراب مَنيَّتي

وأسأل ربي في وفاتي مؤمنا ❖❖❖ على ملة الإسلام أشرفَ ملةِ

والله أسأل أن يعي كل زوج هذه الشكاوي فيتجنبها لله، ويعمل دائمًا على إصلاح عيوب نفسه، فإن العمر قصير، والموت قادم لا محالة، فهلاَّ اتقى الله تعالى كل زوج في أهله.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك، وصلى اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

عصام بن محمد الشريف

السبت ٧ صفر ١٤٢٣هـ

الموافق ٢٠/٤/٢٠٠٢م





لا يحرص على تعليمي أمر ديني، ولا يراقب عباداتي لله، ولا يذكرني بالله، ولا يحثني على الطاعة إلا قليلاً.

من الثغرات الموجودة في بيوتنا عدم الاهتمام بالعلم الشرعي طلبًا أو دراسة، أو حضورًا لمجالس العلم أو عدم سماع الشرائط الإسلامية المسجل عليها دروس العلم النافع، ولا ريب أن هذه الثغرة من الخلل الوخيم في حياتنا الأسرية ويزداد هذا الخلل سوءًا عندما يكون الزوج من أهل العلم أو طلبته أو المجتهدين على الأقل في قراءة الكتاب الإسلامي وسماع الشرائط الإسلامية، ولا يهتم بتعليم زوجته وأولاده أمور دينهم، ثم بعد ذلك يشكو زوجته أو يتذمر من سلوك أولاده، ولا يدري أنه هو السبب بسبب عدم حرصه على تعليمهم أمور دينهم.

إن المرأة الجاهلة بأمور دينها لن تعرف حق زوجها حق المعرفة، ولن تستطيع أن تربي أولادها التربية الإسلامية الجادة، ولن تستطيع أن ترعى منزلها كما ينبغي، فضلاً عن تخلفها عن القيام بعبادة ربها على الوجه الذي يرضي الله عزَّ وجلَّ عنها.

(فالواجب على الرجال بمقتضى كفالة الرياسة أن يعلموهن ما يمكنهن من القيام بما يجب عليهن، ويجعل لهن في النفوس احترامًا يعين على القيام بحقوقهن ويسهل طريقه، فكيف يمكن للنساء أن يؤدين تلك الواجبات والحقوق مع الجهل بها إجمالاً وتفصيلاً؟

وكيف تسعد في الدنيا والآخرة أُمَّة نصفها كالبهائم لا يؤدي ما يجب عليه لربه، ولا لنفسه، ولا للناس، والنصف الآخر قريب من ذلك، لأنه لا يؤدي إلا قليلاً مما يجب عليه من ذلك، ويترك الباقي، ومنه إعانة ذلك النصف الضعيف على القيام بما يجب عليه، أو إلزامه بما له عليه من السلطة والرياسة؟)[1].

لهذا كان واجبًا على الزوج أن يعلم زوجته أمور دينها؛ فيعلمها أصول الدين، ويرسخ في قلبها حب الله وحب رسوله ﷺ وصدق الانتماء لهذا الدين، ويعلمها أحكام الطهارة وأحكام العبادات، ويعلمها نوافل العبادات، ويعلمها حقوق الزوجية ومكارم الأخلاق، ويحذرها من مساوئ الأخلاق.

وكذلك يراقب قيامها بالعبادات من صلاة، وصيام، وأذكار، وغيرها.

كما يحسن به أن يتعاهدها بالموعظة والتذكير، فيوصيها بتقوى الله تعالى ويذكرها بالموت والقبر والآخرة، كما يرغبها في الجنة والأعمال الموصلة إليها.

ولا ينسى أن يمدها بكل ما يعينها على زيادة علمها حسب قدرتها وطاقتها واستيعابها ووقتها من سماع الأشرطة النافعة، وقراءة الكتب القيمة، وحضور مجالس العلم.

كما ينبغي له أن يبعدها عن كل ما يسبب انحرافها أو فساد أخلاقها، أو بعدها عن ربها، من مسموع أو مرئي أو مقروء أو رفقة السوء.

وإن مما ينفع الزوج من حرص زوجته على تعلم العلم الشرعي أن تكون بارة به، قانتة له، تتقي الله تعالى فيه، تحرص على رضاه، وتتجنب كل ما يسخطه، حافظة لبيتها، مربية لأولادها على المنهج الإسلامي الصحيح.

(ثم إن المرأة شديدة التأثر بسلوك زوجها، فإن رأت منه حرصًا على ستر أو عفة أو خلق أو عبادة، بادرت إلى ذلك استجابة لأمر ربها، وإرضاءً لزوجها. وإن رأت

---

(١) نداء للجنس اللطيف ـ السيد محمد رشيد رضا ص (٣٢-٣٣).

منه إعراضًا، وإنفلاتًا من أحكام الدين، وآداب الأسرة، لم تجد بُدًا من الاستجابة له، وفعل ما يرضيه.

وكم يُرى من زوجات خرجن من بيوت آبائهن إلى بيوت الأزواج عفيفات محتشمات عابدات، فما لبثن غير قليل حتى نبذن الحشمة والوقار ظهريًا، بتأثير الزوج وانحرافه وجهالته)[1].

ولماذا لا يتخذ الأزواج من رسول الله ﷺ القدوة العملية الراقية في كيفية تربية الزوجات وتعليمهن أمور دينهن، وحثهن على الطاعات وتذكيرهن بالله تعالى[2].

عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ **«إذا استيقظ الرجل من الليل، وأيقظ أهله، وصليا ركعتين، كُتبا من الذاكرين كثيراً والذاكرات»**[3].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة: **«ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به، أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين»**[4]. وكذلك لمَّا علَّم رسول الله ﷺ أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها ذكرًا من أذكار الصباح والمساء وهو **«سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته»**[5]. فما أعظمه من تعاون على طاعة الله!

ما أسعدها من لحظات عندما تجد الزوجة زوجها يحثها على العبادة، ويعينها عليها ويجلس معها تحت ظلال هذه النفحات الربانية.

وما أسعدها من أسرة مسلمة عينها على الآخرة!

---

(١) من أخطاء الأزواج ـ محمد بن إبراهيم الحمد ـ ص ٣٠.
(٢) للمؤلف رسالة بعنوان «سبيل المتقين في تربية الزوجة على الدين» فلتراجع لأهميتها.
(٣) رواه أبوداود، وابن ماجة، وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٣٣٣).
(٤) رواه النسائي وغيره، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٥٨٢٠).
(٥) رواه مسلم.

وما أسعد الأوقات التي تجلس فيها الزوجة مع زوجها تسمعه كلام الله فيصحح لها قراءتها، أو يفسر لها آية، أو يعلمها أدبًا من آداب القرآن أو السنة، إلى غير ذلك من الفوائد الكثيرة التي يثمرها التعاون على البر والتقوى.

فيا أيها الزوج الكريم. انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (سورة التحريم:٦). تدارس مع زوجتك كتابًا نافعًا تقرؤه معها كل يوم ـ إن لم تستطع وضع منهج علمي بسيط[١] حسب ظروفها واستيعابها. واحرص أن تجعل في بيتك مكتبة إسلامية ولو بسيطة محدودة، على أن تنوع مصادر التعليم ما بين كتاب أو شريط لمحاضره إسلامية، أو شريط فيديو لندوة نافعة وغير ذلك من الوسائل الحديثة المشروعة التي تصقل فيها الزوجة علميًا وعمليًا إن شاء الله.

وكذلك إصحبها معك إلى دروس العلم النافع، ولا تمنعها ـ قدر الإمكان ـ من حضور دروس النساء، فإن في ذلك استقرار لحياة الأسرة وسعادتها.

فائدة:

يقول الإمام أبو حامد الغزالي ـ رحمه الله ـ: «فإن كان الرجل قائمًا بتعليمها، فليس لها الخروج لسؤال العلماء، وإن قصر علم الرجل، ولكن ناب عنها في السؤال، فأخبرها بجواب المفتي فليس لها خروج، فإن لم يكن ذلك، فلها الخروج للسؤال، بل عليها ذلك، ويعصي الرجل بمنعها، ومهما تعلمت ما هو من الفرائض عليها، فليس لها أن تخرج إلى مجلس الذكر، ولا إلى تعلم فضل إلا برضاه، ومهما أهملت المرأة حكمًا من أحكام الحيض والاستحاضة، ولم يعلمها الرجل، حرج الرجل معها، وشاركها في الإثم»[٢].

---

(١) لمزيد من الفائدة؛ راجع «الكلمات النافعات للأخوات المسلمات» للمؤلف.

(٢) الإحياء (٢/٤٨).

وهذه زوجة تعاتب زوجها في رسالة فتقول له: «يا زوجي الحبيب. . . بيتنا يخلو من الجلسة الإيمانية، أريدك أن تقرأ علينا حديثًا من رياض الصالحين كل يوم، أو نسمع صوتك الجهوري يروي سيرة الرسول ﷺ من كتب السيرة. فمتى تبدأ؟ لا تقل غدًا، بل اليوم سوف أهيء لك الكتاب ودعنا نسمع صوتك ونأنس بجلوسك ويفرح أطفالنا جميعًا بأبوتك»[1].

فيا أيها الزوج المسلم ..

◻ كيف لا تهتم بتعليم أهلك وأولادك العلم الشرعي، بأي صورة من صوره؛ والنبي ﷺ يقول: «**أيما رجل كانت عنده وليدة، فعلمها، فأحسن تعليمها، وأدبها، فأحسن تأديبها، ثم أعتقها، وتزوجها فله أجران**»[2].

فقرن ﷺ ثواب العتق من رق العبودية بثواب العتق من رق الجهل بفرائض الله عزَّ وجلَّ، وسنة رسوله ﷺ.

◻ كيف لا تجعل عائشة رضي الله عنها قدوة مشرقة أمام زوجتك، تُعلي من همتها في طلب العلم. فعن عروة بن الزبير قال: «**ما رأيت أحدًا أعلم بفقه، ولا بطب، ولا بشعر، من عائشة رضي الله عنها**».

◻ وكيف لا تهتم بإزالة الجهل عن زوجتك، والله تعالى يقول: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ (سورة الزمر: ٩). فالذين يعلمون هم الذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به، وأما من لم ينتفع بعلمه ولم يعمل به فهو بمنزلة من لم يعلم.

◻ وكيف لا تحرص على خشية زوجتك لله عزَّ وجلَّ، فيثمر ذلك لك زوجة صالحة قانتة داخل البيت، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ (سورة فاطر: ٢٨).

---

(١) رسائل متبادلة بين زوجين - عبد الملك القاسم - ص(٢٧).
(٢) رواه البخاري، ومسلم.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتم، والعلم به أكمل، كانت الخشية أعظم وأكثر»[1].

والمقصود من ذلك: أن زوجتك كاما كان عندها حرص على تحصيل العلم الشرعي، كلما تعرفت على الله أكثر، فرزقها الله تعالى خشيته، فاتقت الله تعالى مع كل الخلق، وأنت فيهم.

◻ ألا تريد لها الخير، والنبي ﷺ يقول: **«من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين»**[2].

◻ وكيف لا تحرص على أن تتعلم زوجتك أمور دينها، وهذه بعض آثار سلفنا الصالح:

★ قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: **«تعلموا العلم؛ فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة»**.

★ وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: **«باب من العلم يحفظه الرجل لصلاح نفسه، وصلاح من بَعْده أفضل من عبادة حول»**.

وقال الشافعي: «ليس شيء بعد الفرائض أفضل من طلب العلم».

★ وقال سفيان الثوري: «ما من عمل أفضل من طلب العلم إذا صحت النية».

★ وقال عمر بن عبد العزيز: «من عمل في غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح».



---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٥٤).

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

لا يعاشرني بالمعروف؛ فلا يُقدرني، ولا يحترمني، ويستهين بي، حتى يشعرني بأنني لا أساوي شيئًا، بل إنني من سقط المتاع.

(توارد القول الكريم من الله ورسوله ﷺ في محاسنة الزوجات ومواداعتهن، ولبُسهن على بعض ما فيهن، مما يفيض رفقًا ورحمة، ورعاية وعناية، وحسبك أن الله - عزَّ وجلَّ - جعل المرأة من آيات الله ومنته على الرجل، وجعل المودة والرحمة والألفة عقدة الصلة بينهما، فذلك حيث يقول جلَّ وعلا: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الروم: ٢١). ولقد كفى وشفى في الأمر بحسن المعاشرة آية جليلة جامعة، بها تنزل الوحي الإلهي يتلى في المحاريب، ويتقرب به المتعبدون إلى الله سبحانه، فمن ذا الذي يستمع قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (سورة النساء: ١٩). ثم يجفوا امرأته، أو يتسخطها بعد ذلك؟

قلِّب بين أعطاف هذه الآية بصرك، واملأ منها يدك، وروِّ من معينها قلبك، ثم انظر هل تقيم على وجدانك، أو تقر على عاطفتك، فيما تكره من امرأتك؟ وما ظنك بأمر تكرهه ثم تظل على لجاجك فيه بعد أن منَّاك الله بالخير الكثير من ورائه؟ وأين ذلك من حسن وتمام الإيمان بالله؟

ولقد شبَّه الله تعالى حسن القيـام على الزوجة بحسن القيام على الوالدين، فقال تعالى في حق الوالدين: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ (سورة لقمان: ١٥). وقال تعالى في حق الزوجات: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (سورة النساء: ١٩).

وقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ﴾. قال السـدي: «وخالطوهن»، وقـال ابن جرير: (كذا قال محمد بن الحسين، وإنما هو «خالقوهن»)[1]. ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ وهو ما لا ينكره الشرع والمروءة، والمراد هنا النصفة في القسم والنفقة، والإجمال في القول والفعل.

قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾: قال القرطبي: (أي عـلى ما أمر الله به من حسن المعـاشرة، والخطاب للجـميع، إذ لكل أحد عـشرة، زوجًا كـان أو وليًا، ولكن المراد بهـذا الأمـر في الأغلب الأزواج، وهو مثـل قوله تعـالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾ (سورة البقرة: ٢٢٩). وذلك توفيـة حقهـا من المهر والنفقـة، وألا يعبس في وجهها بغير ذنب، وأن يكون مُنْطَلِقًا في القول لا فَظًّا ولا غليظًا ولا مُظهرًا ميلاً إلى غيرها)[2] اهـ.

وقيل: هو أن يتصنع لها كما تتصنع له، واسـتدل بعمومه من أوجب لهن الخدمة إذا كُنَّ ممن لا يخدمن أنفسـهن، قال ابن كثـير: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي طيِّبوا أقوالكم لهن، وحسـنوا أفعـالكم وهيآتكم بحسب قـدرتكم، كمـا تحب ذلك منها، فافـعل أنت بهـا مثله، كـما قال تعـالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (سورة البقرة: ٢٢٨).

قوله تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (سورة النساء: ١٩). قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾. أي لدمامة أو سوء خلق من غيـر ارتكاب فاحشة أو نشـوز، فهذا يُندب فيـه إلى الاحتمال، فـعسى أن يؤول

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٣١٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٩٧).

الأمـر إلى أن يرزق الله منهـا أولادًا صـالحين. قلت: ومـن هذا المعنى مـا ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قـال رسول الله ﷺ: «لا يَفْرَكْ مؤمن مؤمنةً إن كره منها خُلُقًـا رضي منها آخر» أو قال: «غيـره»، المعنى: أي لا يُبْغِضها بغـضًا كُلِّيًا يحمله على فراقها، أي لا ينبغي ذلك بل يغفر سيئـتها لحسنتها، ويتغاضى عما يكره لما يحب.

وقال مكحول: سمعت ابن عمر يقول: «إن الرجل ليستخير الله تعالى فَيُخَار له، على ربه ـ عزَّ وجلَّ ـ، فلا يلبث أن ينظر في العاقبة، فإذا هو قد خِيرَ له».

وذكر ابن العربي بسنده عن أبي عبد الرحمن: كان الشيخ أبو محمد بن أبي زيد من العلم والدين في المنزلة والمعرفة، وكانت له زوجة سيئة العشرة، وكانت تُقَصِّر في حقوقه، وتؤذيه بلسـانها؛ فيقال له في أمرها ويُعذَلُ بالصبـر عليها، فكان يقول: «أنا رجل قد أكمـل الله عليَّ النعمة في صحـة بدني ومعرفتي ومـا ملكت يميني، فلعلها بُعثت عـقوبة على ذنبي، فأخاف إن فـارقتُهـا أن تنزل بي عقوبةٌ هي أشد منهـا» قال علمـاؤنا: في هذا ـ أي ما تـقدم من الآية والحـديث ـ دليل على كـراهة الطلاق مع الإباحة)[1] اهـ.

(قوله تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ أي إن كرهتم صـحبتهن وإمـساكهن بمقـتضى الطبيعة من غير أن يكون من قِبَلهن ما يوجب ذلك ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ كالصحبة والإمساك ﴿وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ كالـولد والألفة التي تكون بعـد الكراهة، والمعنى: فإن كـرهتموهن فاصـبروا عليهن، ولا تفارقـوهن لكراهة الأنفس وحدها، فلعل (لكم) فيما تكرهونه (خيرًا كثيرًا) فإن النفس ربما تكره ما يحمده، وتحب ما هو بخلافـه، فليكن مطمح النظر ما فـيه خيـر وصلاح، دون ما تـهوى الأنفس، ونكر

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٩٨) بتصرف.

«شيئًا» و«خيرًا» ووصفه بما وصفه مبالغة في الحمل على ترك المفارقة، وتعميمًا للإرشاد، ولذا استدل بالآية على أن الطلاق مكروه)[1] اهـ.

(وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. قال: «الخير الكثير أن يعطف عليها فيُرزق الرجلُ ولدها، ويجعل الله في ولدها خيرًا كثيرًا»).

(وأخرج ابن المنذر عن الضحاك قال: فإذا وقع بين الرجل وبين امرأته كلام، فلا يعجل بطلاقها وليتأن بها، وليصبر، فلعل الله سيريه منها ما يحب، وأخرج عبد بن حميد عن قتادة في الآية قال: عسى أن يمسكها وهو لها كاره، فيجعل الله فيها خيرًا كثيرًا)[2].

وقال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى -: (وقد ندبت الآية إلى إمساك المرأة مع الكراهة لها، ونبهت على معنيين:

أحدهما - أن الإنسان لا يعلم وجوه الصلاح، فرب مكروه عاد محمودًا، ومحمود عاد مذمومًا.

والثاني - أن الإنسان لا يكاد يجد محبوبًا ليس فيه ما يكره، فليصبر على ما يكره لما يُحب، وأنشدوا في هذا المعنى.

ومن لم يُغْمِضْ عينه عن صديقه ❖❖❖ وعن بعض ما فيه يَمُتْ وهو عاتِبُ
ومن يتتبع جاهدًا كل عَثْرَةٍ ❖❖❖ يَجِدْها، ولا يسلمُ له الدَّهْرَ صاحبُ[3])[4]

---

(١) روح المعاني (٤/ ٢٤٣).
(٢) الدر المنثور (٢/ ١٣٣).
(٣) زاد المسير (٢/ ٤٢).
(٤) عودة الحجاب. للشيخ محمد إسماعيل (٢/ ٢١٨: ٢٢٠).

ومن مظاهر سوء عشرة الرجل لزوجته:

١ - الشك وسوء الظن بها: فمن الأزواج من يُخون زوجته في ماله، فربما أخذت من ورائه بعض النقود ثم يتذكر بعد ذلك أنه قد اشترى بهذه النقود شيئًا أو أقرض شخصًا ونحو ذلك.

وقد يتمادى البعض فيسيئ الظن بزوجته في أخلاقها وعرضها، فيراقبها ويراقبُ هاتف المنزل، وربما سجل لها مكالمات، وربما عاد إلى البيت في غير موعده المعروف ليتأكد من أن زوجته لم تسلك سبيلاً محرمًا، ونحو ذلك.

وكل ذلك وغيره للأسف بغير برهان أو بينة، وإنما هو بسبب تسويل الشيطان لبعض النفوس الضعيفة، فكم وقع من قتل أو طلاق أو أذى بسبب سوء الظن؛ لذا فإنه يجب على كل زوج أن لا يسترسل مع الأوهام، ولا يفرغ قلبه لأي وسواس بدون بينة واضحة ويقين لا غبار عليه، بل يحسن الظن بزوجته التي ارتبط بها وارتبطت به عن طواعية واختيار، وليتأنَّ وليصبر حتى يتثبت. وإلا فالأصل هو براءة الذمة من التهم وسوء الظن، ولربما كان هناك من شياطين الإنس أو الجن من يريد هدم البيت الآمن.

ولا يعني حسن الظن بالزوجة قلة الغيرة، وعدم القيام بحسن القوامة والتربية للزوجة بل الاعتدال كل الاعتدال في الغيرة، فلا يتغافل الزوج عما تخشى عواقبه، ولا يبالغ في إساءة الظن، والتعنت، والتجسس، فيهلك وتهلك الأسرة كلها.

٢ - قلة الغيرة على الزوجة: فهناك من الأزواج من تبلد حسه، وماتت غيرته، وفقد رجولته وحميته، فتراه لا يبالي باختلاط زوجته بالرجال الأجانب عنها بدعوى أن هؤلاء إخوته أو أقاربه أو زملاءه في العمل، والثقة فيهم جميعًا كبيرة!!

ومنهم من لا يبالي بكشف زوجته لعورتها أمام الرجال الأجانب عنها وربما تكون متحجبة خارج بيتها، متبرجة داخل بيتها أمام الرجال الأجانب.

ومنهم من يترك زوجته تجالس الرجال الأجانب وتصافحهم وتضاحكهم وتتبادل معهم أطراف الحديث، ولا ريب أن هذا التهاون من الدياثة وفقدان الرجولة وخفة الدين وقلة الغيرة على الزوجة. روى البخاري عن المغيرة قال سعيد بن عبادة: «لو رأيتُ رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مُصْفِح»[1]. فقال رسول الله ﷺ: **«اتعجبون من غيرة سعد لأنا أغير منه، والله أغير مني»**.

والمقصود ألا يبالغ الرجل في الغيرة بلامسوغ، ولا يجوز له أن يطرح الغيرة تمامًا، فالغيرة المحمودة ما كانت في محلها وفي حدود الاعتدال ومقيدة بالشرع لا بالهوى والوساوس، أما ما جاوز الحد بظنون باطلة واتهامات بدون أدلة فهذا من الغيرة المذمومة التي نهانا عنها رسول الله ﷺ؛ من الغيرة ما يحبه الله، ومنها ما يبغض الله، فأما التي يحبها الله فالغيرة في الريبة، وأما الغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة»[2].

٣ ـ الاستهانة بالزوجة وعدم احترامها: يخطئ الزوج خطأ فادحًا عندما يظن أنه سيعيش في سعادة ووئام مع زوجته وهو يستهين بها أو يحتقرها ولا يحترمها، لأنه رجل ولأن القوامة بيده، وأن المرأة ناقصة عقل ودين، وخلقت من ضلع أعوج فلا يناسبها من المعاملة إلا ما فيه ازدراء أوإهانة أو ذم!

إن السعادة الزوجية ترفرف دائمًا على بيت يحترم كل من الطرفين الآخر، ويقدره ويثني عليه، ويكرمه ولا يسيء إليه.

أما من يسلك طريق الاستهانة وعدم المبالاة بزوجته، فإنه يعيش حياة تعسة، ولا يدري للأسف أن هذا المسلك المشين هو السبب.

إن من الأزواج من لا يعتد بكلام زوجته، ولا يستشيرها في شيء أبدًا فهي لا تستحق، ولا يبالي برأيها إن هي أشارت عليه لأن رأيها دائمًا يجانبه الصواب!

---

(١) أي أراد ضربه بحد السيف لا بعرضه.

(٢) رواه النسائي، وأبوداود وغيرهما ،ووصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٠٥).

ومن صور الاستهانة بالزوجة أيضًا أن يُحقِّرها بين أبنائهم ويسبها ويضربها ويصفها بالجهل وضعف العقل!

وكذلك من صور الاستهانة بها ذم أهلها من والدين أو أقارب وربما لأتفه الأسباب! ومما من شك أن الإسلام ينظر للمرأة على أنها إنسان مكرم، لها عقل ولها رأي، ولها مكانة، وليست هَمْلاً مضاعًا، بل إن بعض النساء ليفوق بعض الرجال بحصافة رأيهن وحسن تدبيرهن؛ والواقع يشهد على ذلك.

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ❖❖❖ ولا التذكير فخر للهلال

إن الزوج العاقل الكريم الذي يتقي الله تعالى في أهله هو الذي يُعنى بزوجته، ويقدرها ويستشيرها، ويشعرها دائمًا بأنها ذات شأن ومكانة عنده لرجاحة عقلها وحسن تدبيرها سواء في حياتها العامة أو ما يخص المنزل والأولاد ـ حتى وإن لم تكن كذلك ـ حتى يأخذ بيديها لتصل إلى هذه المكانة التي يرغبها فيها.

ثم إن المروءة والدين يقضيان باحترام أهل زوجتك وعدم الإساءة إليهم، لأن ذلك يؤذيها، فلا تنسى المعروف ـ يرحمك الله ـ، وإن كان من نقص فيهم أو عيب فالواجب المبادرة بإبداء النصح والتوجيه بدلاً من الثلب والتجريح. واستحضر دائمًا قوله ﷺ: **«استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، إن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، استوصوا بالنساء خيرًا»**[1].

٤ ـ أكل مال الزوجة بالباطل: شكت لي إحدى المسلمات زوجها الذي كان يطلب منها مالها الذي ورثته عن أبيها، لكي ينمي به تجارته، وكان هذا الطلب ليس عن حاجة أو ضيق ذات اليد، وإنما طمعًا في مالها ليزيد من تجارته، فلا يدخلها معه شريكة في التجارة لينمي مالها وإنما يأخذه قسرًا عنها لأنه في النهاية ماله ومال

---

(١) رواه البخاري (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨).

أولاده!! وأخذ يكدر عليها عيشها لتأتيه بمالها، وكأنه عزَّ عليه أن يبقى مع زوجته مالها الخاص بها دون أن يتمتع به بأي صورة من الصور.

فعلى أي أساس يطلب هذا الزوج المال من زوجته، وبأي حق يأخذه بدون طيب نفسها ورضائها؟ لاسيما وهي تشعر منه بالطمع في مالها. وهذه صورة سيئة من صور أكل مال الزوجة بالباطل، وكيف يستبيح الزوج لنفسه ذلك، وهو يعلم أنه يأخذ مال زوجته بغير رضاها!!

إن من الأزواج (من قد رقَّ، وقلَّت مروءته، فتراه يأكل مال زوجته بالباطل، ويسلك في ذلك السبيل سبلاً شتى. فقد تكون زوجته مُعلِّمةً تقبض مالاً مقابل تدريسها، وقد تكون ورثت مالاً من أبيها أو غيره، وقد يكون لها مصادر أخرى للرزق.

ومن هنا يجد بعض الأزواج فرصته لأكل مال الزوجة بالباطل، إما بتهديدها بالطلاق إن لم تعطه، وإما بالتملق لها وإظهار الحاجة بين يديها، أو بالاستدانة منها مع تبييت النية بعدم الوفاء، أو بالاشتراك معها في مشروع ما دون كتابة عقد بينهما، ثم يسل يده منها، ويتفرد بالمشروع وحده، إلى غير ذلك من ألوان الأكل لمال الزوجة بالباطل.

وهذا الصنيع تأباه المروءة والدين، فقد حمى الإسلام مال الزوجة؛ فلم يجعل ليد الزوج عليه من سبيل ، فأبقى لها حرية التصرف في مالها على ما ترى إذا كانت عاقلة رشيدة، وليس للزوج حق في أن يتناول منه درهمًا واحدًا إلا عن طيب نفسها، وليس له حق في منعها من أن تتصرف في مالها على وجه المعاوضة كالبيع، والقرض، والإجارة ونحوها بإجماع العلماء، وليس له الحق في منعها من أن تنفق منه أو تنفقه على وجه التبرع كالصدقة، والهبة عند جمهور أهل العلم.

وقـد ذهب بعض العلمـاء إلى أن للزوج أن يمنعـها من التبـرع بأكثـر من ثلث مالها[١]. فالخلاف - إذًا - في كونها تنفق، أما أخذ الزوج مالها بالباطل فلا خلاف في عدم جوازه)[٢].

فصـــل

مسألة مهمة:

اختلف أهل العلم في تصرف المرأة في مالهـا: فمنهم من منع المرأة من التصرف في مالها إلا بإذن زوجها لقوله ﷺ: **«لا يجوز لامرأة عطية إلا بإذن زوجها»**[٣]. وفي لفظ آخر: **«لا يجوز لامرأة أمر في مالها إذا ملك زوجها عصمتها»**[٤].

ومنهم من أجاز لها التـصرف في مالها دون إذن زوجها؛ واسـتدلوا بقوله ﷺ: **«تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم»**[٥]. وجعلن يتصدقن من حلـيهن، فكان هذا تصرفًا بغير إذن أزواجهن.

قال الشوكاني - رحمه الله -: «وقـد استدل بهذا الحديث **«لا يجوز لامرأة عطية إلا بإذن زوجها»** على أنه لا يجوز للمرأة أن تـعطي عطية من مالها بغيـر إذن زوجها ولو كانت رشيـدة. وقد اختلف في ذلك: فقال الليث: لا يجـوز لها مطلقًا لا في الثلث ولا فيما دونـه إلا الشيء التافه. وقال طاووس ومالك: إنه يجوز لهـا أن تعطي مالها بغير إذنه في الثلث لا فيما فوقـه، فلا يجوز إلا بإذنه. وذهب الجمهور إلى أنه يجوز لها مطلقًا من غير إذن من الزوج إذا لم تكن سفيهه، فإن كانت سفيهة لم يجز»[٦].

---

(١) انظر الهداية الإسلامية ص(٥٨).
(٢) من أخطاء الأزواج، ص(٢٤).
(٣) رواه أحمد وأبوداود وغيرهما، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٧٥٠٢).
(٤) رواه أحمد وابن ماجة وغيرهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٥٠١).
(٥) رواه البخاري ومسلم.
(٦) نيل الأوطار (٥/٤١٩) وهو مـا رجحه ابن حـزم في المحلى (٣٠٩١٨) انظر أحكام النسـاء للعدوي (٢/١٢٠:١٣٥) النووي على شرط مسلم (٢/٥٣٥).

وبالجملة فالمقصود هو أن أكل مال الزوجة بالباطل حرام، وأن الضغط عليها لأخذه بغير رضاها وطيب نفسها حرام. لكن لا يعني ذلك ألا تقف الزوجة بجانب زوجها إن ضاق به الحال، بل تسارع بمساعدته، ولا تنتظر حتى يطلب منها، فربما الحياء يمنعه من ذلك.

وليس معنى جواز بعض أهل العلم تصدق المرأة من مالها بغير إذن زوجها ألا تستشيره، ولا تأخذ برأيه، بل من الأدب مع الزوج إعظامًا لحقه ولمكانته، ألا تتصرف في مالها إلا بعد استئذانه والاستنارة برأيه، فذلك مما ينمي علاقة المحبة والمودة والألفة بينهما، ويزيد من دعائم السعادة داخل البيت.

قال الألباني - رحمه الله -: (وهذا الحديث «ليس للمرأة أن تنتهك شيئًا من مالها إلا بإذن زوجها»، وما أشرنا إليه مما في معناه يدل على أن المرأة لا يجوز لها أن تتصرف في مالها الخاص إلا بإذن زوجها، وذلك من تمام القوامة التي جعلها ربنا تبارك وتعالى له عليها، ولكن لا ينبغي للزوج - إذا كان مسلمًا صادقًا - أن يستغل هذا الحكم فيتجبر على زوجته، ويمنعها من التصرف في مالها فيما لا ضير عليهما منه، وما أشبه هذا الحق بحق ولي البنت التي لا يجوز لها أن تزوج نفسها بدون إذن وليها، فإذا أعضلها رفعت الأمر إلى القاضي الشرعي لينصفها، وكذلك الحكم في مال المرأة، إذا جار عليها زوجها، فمنعها من التصرف المشروع في مالها، فالقاضي ينصفها أيضًا، فلا إشكال على الحكم نفسه، وإنما الإشكال في سوء التصرف به فتأمل)[1].

وقال الشوكاني - رحمه الله - بعد ما رجح: (والأولى أن يقال، يتعين الأخذ بعموم حديث عبد الله بن عمرو «لا يجوز لامرأة عطية إلا بإذن زوجها»، وما ورد من الواقعات المخالفة له تكون مقصورة على مواردها، أو مخصصة لمثل من وقعت له من هذا العموم وأما مجرد الاحتمالات فليست مما تقوم به الحجة)[2].

---

(١) السلسلة الصحيحة (٢/ ٤٢٠) حديث رقم (٧٧٥).
(٢) نيل الأوطار (٦/ ٢٢).

إن تجاهل الزوجة لزوجها تمامًا بحجة أن بعض أهل العلم أجاز للمرأة التصرف في مالها دون زوجها من الخطأ، لاسيما إن ترتب على ذلك مفاسد تغلب المصلحة العامة داخل البيت المسلم.

والمرأة العاقلة عندما تجد زوجها زاهدًا في مالها، وحريصًا عليه، وليس طامعًا فيه، فإن ذلك يزيدها ثقة فيه، واحترامًا له، فتبذل له مالها عن طيب خاطر إن كان في حاجة إليه، أو على الأقل ستستشيره إن أرادت التصرف فيه أو في جزء منه.

٥ـ ضرب الزوجة بدون سبب شرعي: من النساء من يصل بها الحال لعلاج نشوزها وتمردها على زوجها إلى الضرب، وذلك بالطبع بعد البداءة بالوعظ ثم الهجر، فإن فشل الرجل بعد هاتين الوسيلتين، فمعنى ذلك أن المرأة امرأة غير جديرة بالاحترام والتقدير ولذلك كان لابد أن يكون العقاب لها عقابًا يطعن في كبريائها وعنادها. ومن النساء من تهتدي بمجرد الوعظ، ومنهن من تهتدي بالهجر، قال تعالى: ﴿واللاَّتي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ (سورة النساء: ٣٤).

ولنا أن نتدبر حال امرأة لم ينفع معها علاج الوعظ ثم علاج الهجر، فما العمل بعد ذلك؟! كان لابد من وسيلة ثالثة تكون أنجع، لاسيما إذا كان الله تعالى ـ خالق النفس والعالم بما يصلحها ويهديها ـ هو الذي شرع هذه الوسيلة، وهي الضرب.

ولكن أن يكون الضرب بشروطه، لأن الغرض منه هو التأديب والإصلاح، ومن هذه الشروط:

١ ـ تناسب العقاب مع نوع التقصير، فلا يلجأ إلى الضرب إلا بعد فشل وسيلتي الوعظ والهجر.

٢ ـ تقوى الله تعالى، فلا يضرب رأسًا أو بطنًا أو وجهًا، ولا يكسر عظمًا، أو يشين موضعًا، لأن الغرض من الضرب العلاج والزجر وليس التعجيز والإذلال.

٣ ـ عدم التمادي إن ارتدعت الزوجة، وثابت إلى رشدها.

إن الزوج الذي قد قسا قلبه، وغلظ طبعه، وساء فهم النصوص الشرعية في معاملته الزوجية، فيضرب ضرب الحيوانات، وعند أتفه الأسباب، قد أخطأ الطريق في علاج مشاكله داخل البيت، وحاد عن الطريق الصحيح لتفادي الأخطار.

إن المرأة ليست هملاً مضاعًا، أو حيوانًا داخل البيت، أو إنسان بلا كيان أو روح أو إحساس، حتى يكون الضرب هو أول العلاجات وبطريقة تخالف الشرع. قال ﷺ: **«إني أُحْرِجُ عليكم حق الضعيفين: اليتيم والمرأة»**[(١)]. وقال أيضًا: **«لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يضاجعها»**[(٢)].

٦ ـ عدم التماس المعاذير للزوجة: فنحن بشر نخطأ ونصيب، وليس من حسن عشرة الرجل لزوجته المسارعة في مؤاخذتها إذا أخطأت، بل يتروى قبل أن يحكم عليها، ويلتمس لها الأعذار ويراعي الظروف والأحوال التي صدرت فيها الأخطاء ـ وما أمكن ـ حتى لا تكبر المشاكل ويعظم الضرر.

ومن هذه الأعذار التي ينبغي للزوج مراعاتها:

(أ) غيرة النساء:

عن أنس رضي الله عنه قال: أهدى بعض نساء النبي ﷺ له قصعة فيها ثريد وهو في بيت بعض نسائه فضربت عائشة يد الخادم، فانكسرت القصعة فجعل النبي ﷺ يأخذ الثريد، ويرده في فلق القصعة ويقول: **«كلوا غارت أمكم»، ثم حبس الخادم حتى أتى بقصعة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصفحة إلى التي كسرت صفحتها»**[(٣)].

فهكذا كان تصرفه ﷺ بهدوء وحكمة، والتماس بعض القدر لما صدر من زوجته من خطأ نتيجة الغيرة، مادام الخطأ ليس فيها انتهاك لحرمة من حرمات الله تعالى.

---

(١) أخرجه أحمد وابن ماجة وغيرهما، وحسنه الألباني في «الصحيحة» برقم (١٠١٥).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ـ والصفحة: الإناء.

(ب) التوتر وضيق الخلق أثناء الحيض:

إن أخلاق المرأة ونفسيتها في فترة الحيض، تختلف عنها في فترة الطهر، فضلاً عما يصيب البعض منهن أو الكثيرات من الصداع والتعب وألم العظام وغير ذلك مما يؤثر على نفسية الزوجة وعلاقتها داخل البيت بأفراد الأسرة. لذا فإنه على الزوج أن يتحمل ما يصدر عن زوجته في هذه الفترة من هفوات، ويلتمس لها الأعذار إذا تكاسلت أو فترت أولم تقم بواجباتها على خير قيام.

(جـ) مراعاة حداثة الالتزام:

(قد يتزوج الأخ المسلم أختًا مسلمة، طيبة الاستعداد للالتزام الطيب بدينها وآدابه الشاملة في مختلف المجالات، لكنها مع هذا الاستعداد لم تجد البيئة التي تحتضنه وتنميه، فضعف التزامها نتيجة الجهالة، فعلى الأخ الزوج المسلم أن يراعي آثار الركام السابق، أثناء ترقيه بها، وأخذه بيدها في سلم الالتزام، كما عليه أن يراعي التدرج في الخطوات، والترتيب في الأولويات، فهناك أصول وهناك فروع والكل مطلوب، وليس هناك فاصل بينهما، نعم، لا نريد أن نهمل الفروع حتى ترسخ الأصول فالكل مترابط، وليست قضية الأصول والفروع كأجزاء آلة مادية يمكن فصلها قطعة قطعة باستقلال. .إنما نريد أن يكون الجهد الأكبر موجهًا نحو الأصول والكليات، مع مراعاة جانب الفروع والجزئيات بقدره، واغتنام الظروف والمناسبات لغرس هذا أو ذلك، فنحن نتعامل مع نفس بشرية، لا آلة ميكانيكية.

كما ينبغي أن لا يستفزنا التقصير والأخطاء في تلك الجوانب قبل أن نعطها القدر الكافي في الجهد الحكيم المنظم المدروس. .

فمادام الاستعداد طيبًا، فـالوصوم قريب لكن بشيء من الحلم والتروي، والصبر على الحلم والتروي، والتيسير والتبشير لا التعسير والتنفير. فينبغي للأزواج أن يراعوا تلك التوجيهات النبوية: **«بشروا ولا تنفروا، يسروا ولا تعسروا»**.

فما دام النمـو في ازدياد، فأبشر بالنضج في الميعـاد، وإياك وعواصف الغضب، فإنهـا تقتلع النبـتة، وتورث الندامة والحـسرة. وعليك بالحلم فـإنه سيـاج حامي من الأعاصير الهوجاء، حتى تبلغ النبتة أشدها، وتقوى وتعمق جذورها، وتورف بالظلال فروعها، فحينئذ تقطف أطيب الثمار)[1].

(١) كيف تسعد زوجتك، ص (١٣٧، ١٣٨).

بخيل، وكثير الخصام، واللوم، والنقد. لا يعفو عن الهفوات، والأخطاء البسيطة.

البخل آفة ذميمة، والمرأة التي أصيبت بزوج بخيل امرأة مسكينة كان الله في عونها، وهدى الله لها زوجها.

إن نفقة الزوجة واجبة بالكتاب والسنة، ويزداد الرجل سوءًا إن كان يُقتِّر على زوجته وهو موسر، أو يُقتِّر في الأمور الواجبة في الوقت الذي ربما يسرف فيه البعض هنا وهناك بلا داع لاسيما على رفاق السوء.

وكم من بيوت يجثم عليها البؤس، وتخيم عليها سحائب الشقاء والنكد والحزن بسبب تقتير الزوج وتقصيره في النفقة.

إن من حق الزوجة على زوجها - وليس فضلاً - أن ينفق عليها بالمعروف وفي حدود طاقته ووسعه - وليتق الله تعالى فيها وفي أولادها، وإلا ادعى البخيل أن هذه هي طاقته ووسعه، إن لم يكن عنده وازع من دين وخوف من الله تعالى، حيث قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ (سورة الطلاق: ٧).

ثم ما هو ذنب هذه المرأة التي كانت لا تعاني في بيتها من أمر الإنفاق عليها شيئًا، حتى تصاب بزوج يُقتر عليها، وإلا فلماذا تزوجها؟!

روى مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ خطب الناس فقال: «اتقوا الله في النساء فإنهن عوان[١] عندكم أخذتموهم بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكتاب الله، لهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف»

فيا أيها البخيل المسكين أنفق على أهلك تؤجر إن شاء الله، قبل أن تموت وتأثم بسبب بخلك، ثم يتمتع أهلك، وأولادك بمالك، فماذا كسبت إذن؟!

أما الزوج الذي يكثر من لوم زوجته وانتقادها في كل صغيرة وكبيرة، تستحق أولاً تستحق، فليس هذا بصاحب الخلق الكريم، الذي يعفو ويصفح، بل يزيد من الجفاء بينه وبين زوجته، ويورث النفرة والكراهية.

إن على الزوج الكريم، صاحب القلب النقي أن يلتمس لزوجته المعاذير ويحسن بها الظن، وإذا ما وجد ما يستوجب العتاب عليها، فليعاتب عتاب المحب، وهو العتاب الرقيق دون إسفاف أو بذاءة أو سوء معاملة. وأحسن من ذلك أن يتغافل ويتغاضى، وإلا عاش حياة كلها نكد وتعاسة إن كان ممن يحاسب على كل شيء ولا يترك أي شيء بدون محاسبة.

وإن مما يعين الزوج على سلوك طريق الاعتدال في لوم زوجته وعتابها:

١ - ألا ينسى أن زوجته بشر، تخطئ وتصيب، لذلك فهو لن يجد فيها كل ما يريد، فيلتمس لها المعاذير كما يلتمس لنفسه، فهو أيضًا يخطئ ويصيب، والكمال لله وحده.

٢ - أن يتحلى دائمًا بحسن الخلق، ويستحضر ثواب حسن الخلق ومكانته عند الله.

٣ - ألا ينسى طبيعة المرأة، وكيف أن الرسول ﷺ أوصى بها إيصاءً شديدًا كما في الحديث: «استوصوا بالنساء خيرًا، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه»[٢].

---

(١) عوان: أي أسيرات.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

٤ ـ أن يبادر إلى الاعتذار إلى زوجته، إن صاحب عتابه لها لفظًا جارحًا، أو كلمة بذيئة، أو إهدارًا لكرامتها، وليعترف بخطئه دون أن تأخذه العزة بالإثم، فإن ذلك من شيمة النبلاء.

قال ابن حبان ـ رحمه الله ـ: (من لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما يأتون من المكروه، وترك التوقع لما يأتون من المحبوب، كان إلى تكدير عيشه أقرب منه إلى صفائه، وإلى أن يدفعه الوقت إلى العداوة والبغضاء أقرب منه أن ينال منهم الوداد وترك الشحناء)[١].

وعن آداب العتاب يقول الأستاذ محمد عبد الحليم حامد: «فإن كان لابد من العتاب، فعليه أن يتحلى بهذه الآداب:

١ ـ عدم تهويل الأمر محل العتاب، بحيث يجعل من الحبة قبة، ويتصعد الأمر، فينبغي أن نعطي الأمر حجمه فلا نجعل من الفرع أصلاً، ولا من الذنب رأسًا.. وليتجنب الأخ كثرة التحليلات، واختراع مقدمات لا وجود لها ويبني عليها نتائج عجيبة واستنباطات غريبة.

٢ ـ البدء بالتلميح قبل التصريح لأن التصريح قد يجرح والنفوس متفاوتة التحمل. ويراعي التلميح إذا كانت الزوجة ستفهمه ومراده، وإلا صرح الزوج وأمره إلى الله لكن بلطف لا بعنف.

٣ ـ الإسرار بالعتاب، فلا يجعله أمام أحد من الناس حتى ولو كانوا أقارب، ففي ذلك ستر يعين المخطئ على التصحيح، وفي غيره فضيحة.

٤ ـ اختيار الوقت المناسب، فلا يعاتب عند العراك والغضب، بل يتريث حتى تهدأ الأمور، وتصفو النفوس.. حينئذ يوجه عتابه برفق.

---

(١) روضة العقلاء، ص(٧٢).

٥ ـ ألا يؤدي العتاب إلى ضرر أكبر، فالقصد من العتاب علاج الخطأ، فإن كان يفتح جرحًا أخطر تركه حتى يأتي الوقت المناسب. وتقدير هذا الأمر يحتاج إلى فهم ثاقب، وعقل راشد، وتقوى ونور وبصيرة.

٦ ـ المحافظة على المعاتَب بحيث لا يحرجه ولا ينتقصه؛ بل يظهر له الحب والتقدير، والحرص على استمرارية الإخاء والصفاء، فإنه يبقى الود ما بقي العتاب.

٧ ـ البعد عن الاستعلاء والتشفي، والإصرار والعناد.

تلك بعض الآداب الهامة في فقه العتاب، على الزوج أن يراعيها، وينبغي أن يعلم أن العتاب مع الزوجة لا يكون إلا في أمر ذي بال، لا أمر تافه: كأن تتأخر في إعداد الطعام قليلاً، أو تنقل كتابًا أو أوراقًا هامة أو غير هامة من مكان إلى جواره ويسهل إرجاعه بلا جهد، أو تغير في تنظيم الأثاث.. أو تعطي جارتها. عارية، فيأتي الزوج كثير العتاب فيقول لها معاتبًا: يا فلانة..، الله يهديك!! لماذا نقلتِ هذا؟ ولماذا غيرتِ هذا؟ ولماذا أعطيتِ هذه؟ ولماذا تأخرتِ في هذا؟ ولماذا؟ ولماذا؟

وإذا قيل له: لماذا العتاب في هذا الأمر التافه؟!

قال: حتى تتعود الانضباط!!

وإذا رأت بعثرة وتركتها، أو بكرت قليلاً في تجهيز المائدة، أو منعت عن محتاج حاجته حتى تستأذن..، قال لها: لماذا لم تنظمي هذا؟ ولماذا تعجلت في هذا؟ ولماذا منعت عن هذا؟ ولماذا؟ ولماذا؟

وتنهال على المسكين سيول من الرمي بسوء التصرف!! مع أن الأمر يسير، والاستدراك إن كان ـ غير عسير ـ لا يحتاج إلى هذه العتابات، «واللماذات»: ولماذا ولماذا..

وليعلم الزوج أن كثرة العتاب وبخاصة في الأمور التافهة تنغص على الزوجة عيشتها، فليكن الزوج حكيمًا في إنزاله على منازله، وفي المناسب، بالأسلوب

الملائم. . والعتاب في الأمور التافهة يصيب المرأة بالتوتر وقلق الأعصاب؛ لأن سياط العتاب تلاحقها، وعصا التأنيب أمام ناظرها، وهي معاتبة على كلا الأمرين: إن أقدمت، قال: الإحجام هو الصحيح. وإن أحجمت، قال: الإقدام هو الصحيح.

فيصيبها شلل في التفكير، وتخلف في تدبير الأمور، وقتل لطاقات الإبداع. ومن ثم يكون النفور بدل حب القدوم . . فأين هذا من هدي المصطفى ﷺ:

عن أنس رضي الله عنه قال: **«خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي قط: أف، ولا قال لشيء فعلتُه: لم فعلتَه؟ ولا لشيء لم أفعله، ألا فعلت كذا؟»**[1] . يا أيها الأزواج، العفو العفو، والصفح الصفح وإلا فليتزم بآداب العتاب»[2] .

وينبغي للزوج أيضًا ألا يكثر الخصومة مع زوجته لاسيما إن كان بدون مبرر مقبول، أو يفجر في خصامه بدون ضوابط شرعية ولأسباب تافهة أو بسبب العند أو الكبر.

إن على الزوج العاقل أن يترفع عن السفاسف والمحقرات، وأن يكون واسع الصدر، يسعى في حل مشاكله بتؤدة وسكينة ونظرة عميقة في الأمور دونما تهوين أو تهويل. إن طول مدة الخصام بين الزوجين تسقط الهيبة، وتقتل الاحترام، وتغتال المودة والرحمة، وربما تفاقم الأمر إلى ما لا تحمد عقباه.

وعلى الزوج العاقل أيضًا ألا يعطي الأمور أكثر مما تستحق، ولاسيما وهو يدرك أن الخلافات لا يخلو منها أي بيت، ولكن بالحب وغض الطرف عن الهفوات والأخطاء، والمبادرة بالصلح والإصلاح تزول الشحناء وتقل الخلافات داخل البيت.

ثم ما ذنب الأولاد الذين يعيشون في جو خانق مشحون دائمًا أو غالبًا بالشجار والخصام والسباب والفضائح أمام الجيران؟! ما ذنبهم أن ينشأوا معقدين، أو كارهين للزواج بسبب والديهم أو أحدهما؟!

---

(١) متفق عليه.

(٢) كيف تسعد زوجتك، ص (١٥٢ : ١٥٥).

وعلى الزوج العاقل أيضًا، ألا يطيل النقاش مع زوجته إذا وجدها وصلت إلى درجة من الغضب أوالعصبية التي من شأنها زيادة المشاكل وليس حلها. بل يعرض عن الحديث أثناء ذلك، ويصرف النظر إلى موضوع آخر حتى يجد وقتًا مناسبًا آخر للنقاش أو العتاب اللطيف أو النصيحة الجميلة.

فصل

الخلافات أمور طبيعية[1]:

ينبغي أن يكون المرء واقعيًا فلا يحلق في آفاق المثل الخيالية، فيحلم بحياة لا خلافات فيها ولا مشاكل، ولا أخطاء ولا تقصيرات إن ذلك الحلم وهم وسراب يجافي الواقع البشري، ويصادم الطبع الفطري.

فلابد أن تتعرض الأسرة لهزات داخلية أو خارجية، بحدوث خلافات بين الزوجين، ووقوع تقصيرات من أحد الجانبين، ولا عجب في هذا ولا عيب، إنما العيب في تطور الخلاف، وبُعد الشقاق، والتقيء بسوء الأخلاق، والتمادي في الغي دون محاسبة النفس ومراجعتها.

كذلك قد تتعرض الأسرة إلى عواصف خارجية هوجاء، تثير الأراجيف والإشاعات، وتنشط بالنميمة بين الزوجين، وتجسم العيوب..

فينبغي للزوج المسلم أن يكون حليمًا صبورًا، متأنيًا مترويًا، لا يغتاله الغضب، ولا يدفعه العجل، بل يكظم غيظه ويعالج بلا عنف. ويتأنى في أمره، ويتثبت بلطف. يلتمس المعاذير، ويراعي طبائع النفوس، وإذا آخذ لا محالة، فيؤاخذ بالحق، ويتجرد من هوى النفس، ويلتزم بحدود الشرع. هكذا كان هدي رسول الله ﷺ في عشرة زوجاته.

---

(١) كيف تسعد زوجتك. ص(١٢٩: ١٣٣).

الملائم. والعتاب في الأمور التافهة يصيب المرأة بالتوتر وقلق الأعصاب؛ لأن سياط العتاب تلاحقها، وعصا التأنيب أمام ناظرها، وهي معاتبة على كلا الأمرين: إن أقدمت، قال: الإحجام هو الصحيح. وإن أحجمت، قال: الإقدام هو الصحيح.

فيصيبها شلل في التفكير، وتخلف في تدبير الأمور، وقتل لطاقات الإبداع. ومن ثم يكون النفور بدل حب القدوم .. فأين هذا من هدي المصطفى ﷺ:

عن أنس رضي الله عنه قال: **«خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي قط: أف، ولا قال لشيء فعلتُه: لم فعلتَه؟ ولا لشيء لم أفعله، ألا فعلت كذا؟»**[1]. يا أيها الأزواج، العفو العفو، والصفح الصفح وإلا فليتزم بآداب العتاب»[2].

وينبغي للزوج أيضًا ألا يكثر الخصومة مع زوجته لاسيما إن كان بدون مبرر مقبول، أو يفجر في خصامه بدون ضوابط شرعية ولأسباب تافهة أو بسبب العند أو الكبر.

إن على الزوج العاقل أن يترفع عن السفاسف والمحقرات، وأن يكون واسع الصدر، يسعى في حل مشاكله بتؤدة وسكينة ونظرة عميقة في الأمور دونما تهوين أو تهويل. إن طول مدة الخصام بين الزوجين تسقط الهيبة، وتقتل الاحترام، وتغتال المودة والرحمة، وربما تفاقم الأمر إلى ما لا تحمد عقباه.

وعلى الزوج العاقل أيضًا ألا يعطي الأمور أكثر مما تستحق، ولاسيما وهو يدرك أن الخلافات لا يخلو منها أي بيت، ولكن بالحب وغض الطرف عن الهفوات والأخطاء، والمبادرة بالصلح والإصلاح تزول الشحناء وتقل الخلافات داخل البيت.

ثم ما ذنب الأولاد الذين يعيشون في جو خانق مشحون دائمًا أو غالبًا بالشجار والخصام والسباب والفضائح أمام الجيران؟! ما ذنبهم أن ينشأوا معقدين، أو كارهين للزواج بسبب والديهم أو أحدهما؟!

---

(١) متفق عليه.

(٢) كيف تسعد زوجتك، ص (١٥٢ : ١٥٥).

وعلى الزوج العاقل أيضًا، ألا يطيل النقاش مع زوجته إذا وجدها وصلت إلى درجة من الغضب أوالعصبية التي من شأنها زيادة المشاكل وليس حلها. بل يعرض عن الحديث أثناء ذلك، ويصرف النظر إلى موضوع آخر حتى يجد وقتًا مناسبًا آخر للنقاش أو العتاب اللطيف أو النصيحة الجميلة.

فصل

الخلافات أمور طبيعية[1]:

ينبغي أن يكون المرء واقعيًا فلا يحلق في آفاق المثل الخيالية، فيحلم بحياة لا خلافات فيها ولا مشاكل، ولا أخطاء ولا تقصيرات إن ذلك الحلم وهم وسراب يجافي الواقع البشري، ويصادم الطبع الفطري.

فلابد أن تتعرض الأسرة لهزات داخلية أو خارجية، بحدوث خلافات بين الزوجين، ووقوع تقصيرات من أحد الجانبين، ولا عجب في هذا ولا عيب، إنما العيب في تطور الخلاف، وبُعد الشقاق، والتقيء بسوء الأخلاق، والتمادي في الغي دون محاسبة النفس ومراجعتها.

كذلك قد تتعرض الأسرة إلى عواصف خارجية هوجاء، تثير الأراجيف والإشاعات، وتنشط بالنميمة بين الزوجين، وتجسم العيوب..

فينبغي للزوج المسلم أن يكون حليمًا صبورًا، متأنيًا مترويًا، لا يغتاله الغضب، ولا يدفعه العجل، بل يكظم غيظه ويعالج بلا عنف. ويتأنى في أمره، ويتثبت بلطف. يلتمس المعاذير، ويراعي طبائع النفوس، وإذا آخذ لا محالة، فيؤاخذ بالحق، ويتجرد من هوى النفس، ويلتزم بحدود الشرع. هكذا كان هدي رسول الله ﷺ في عشرة زوجاته.

---

(١) كيف تسعد زوجتك. ص(١٢٩ : ١٣٣).

الملائم. . والعتاب في الأمور التافهة يصيب المرأة بالتوتر وقلق الأعصاب؛ لأن سياط العتاب تلاحقها، وعصا التأنيب أمام ناظرها، وهي معاتبة على كلا الأمرين: إن أقدمت، قال: الإحجام هو الصحيح. وإن أحجمت، قال: الإقدام هو الصحيح.

فيصيبها شلل في التفكير، وتخلف في تدبير الأمور، وقتل لطاقات الإبداع. ومن ثم يكون النفور بدل حب القدوم . . فأين هذا من هدي المصطفى ﷺ :

عن أنس رضي الله عنه قال: **«خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي قط: أف، ولا قال لشيء فعلتُه: لم فعلتَه؟ ولا لشيء لم أفعله، ألا فعلت كذا؟»**[1]. يا أيها الأزواج، العفو العفو، والصفح الصفح وإلا فليتزم بآداب العتاب»[2].

وينبغي للزوج أيضًا ألا يكثر الخصومة مع زوجته لاسيما إن كان بدون مبرر مقبول، أو يفجر في خصامه بدون ضوابط شرعية ولأسباب تافهة أو بسبب العند أو الكبر.

إن على الزوج العاقل أن يترفع عن السفاسف والمحقرات، وأن يكون واسع الصدر، يسعى في حل مشاكله بتؤدة وسكينة ونظرة عميقة في الأمور دونما تهوين أو تهويل. إن طول مدة الخصام بين الزوجين تسقط الهيبة، وتقتل الاحترام، وتغتال المودة والرحمة، وربما تفاقم الأمر إلى ما لا تحمد عقباه.

وعلى الزوج العاقل أيضًا ألا يعطي الأمور أكثر مما تستحق، ولاسيما وهو يدرك أن الخلافات لا يخلو منها أي بيت، ولكن بالحب وغض الطرف عن الهفوات والأخطاء، والمبادرة بالصلح والإصلاح تزول الشحناء وتقل الخلافات داخل البيت.

ثم ما ذنب الأولاد الذين يعيشون في جو خانق مشحون دائمًا أو غالبًا بالشجار والخصام والسباب والفضائح أمام الجيران؟! ما ذنبهم أن ينشأوا معقدين، أو كارهين للزواج بسبب والديهم أو أحدهما؟!

---

(١) متفق عليه.

(٢) كيف تسعد زوجتك، ص (١٥٢:١٥٥).

وعلى الزوج العاقل أيضًـا، ألا يطيل النقاش مع زوجتـه إذا وجدها وصلت إلى درجة من الغـضب أوالعصبيـة التي من شأنها زيادة المشاكل وليس حلهـا. بل يعرض عن الحديث أثناء ذلك، ويصرف النظر إلى مـوضوع آخر حتى يجد وقتًـا مناسبًا آخر للنقاش أو العتاب اللطيف أو النصيحة الجميلة.

فصـل

الخلافات أمور طبيعية[1]:

ينبغي أن يكون المرء واقـعيًا فـلا يحلق في آفاق المثل الخيـالية، فيحلم بحـياة لا خلافـات فيهـا ولا مشاكل، ولا أخطاء ولا تـقصيـرات إن ذلك الحلم وهم وسراب يجافي الواقع البشري، ويصادم الطبع الفطري.

فلابـد أن تتعـرض الأسرة لهـزات داخلية أو خـارجية، بـحدوث خلافـات بين الزوجين، ووقـوع تقصيـرات من أحد الجـانبين، ولا عجب في هذا ولا عـيب، إنما العيب في تطور الخلاف، وبُعد الشقاق، والـتقيء بسوء الأخلاق، والتمادي في الغي دون محاسبة النفس ومراجعتها.

كـذلك قد تتـعرض الأسـرة إلى عواصف خـارجيـة هوجاء، تثـير الأراجـيف والإشاعات، وتنشط بالنميمة بين الزوجين، وتجسم العيوب..

فينبغي للزوج المسلم أن يكون حليـمًا صبورًا، متأنيًا متـرويًا، لا يغتاله الغضب، ولا يدفـعه العجـل، بل يكظم غيظه ويعـالج بلا عنف. ويتأنى فـي أمره، ويتثـبت بلطف. يلتمس المعاذير، ويراعي طبائع النفوس، وإذا آخذ لا محالة، فيؤاخذ بالحق، ويتجرد من هوى النفس، ويلتزم بحـدود الشرع. هكذا كان هدي رسول الله ﷺ في عشرة زوجاته.

---

(١) كيف تسعد زوجتك. ص(١٢٩ : ١٣٣).

ومن وسائل النظافة والتجمل للزوجة الحرص على سنن الفطرة من تقليم الأظافر وحلق الإبط والعانة، وكثرة الاغتسال لاسيما في أيام الصيف حتى يزيل رائحة العرق الكريهة، ويقص شعره إلى غير ذلك مما يحبب الزوج إلى زوجته ما لم يخالف الشرع.

وفي حديث أم زرع المشهور قالت المرأة الثامنة مادحة زوجها: زوجي المسُّ مسُّ أرنب، والريح ريح زَرْنب. أي: أن زوجها إذا مسته وجدت بدنه ناعمًا كوبر الأرنب. وقيل: كَنَّت بذلك عن حسن خلقه ولين عريكته، بأنه طيب العرق لكثرة نظافته واستعماله الطيب.

فإذا كانت المرأة تصف زوجها بحسن التجمل والتطيب لها، دلَّ ذلك على أن هاتين الصفتين تلعبان دورًا كبيرًا عندها، بل عند كل امرأة، لأن الفطر السليمة تحب ذلك.

وهذه رسالة عتاب وحب من زوجة لزوجها تقول له فيها: (يا أبا عبد الله.. إنك إنسان جانبت طريق النظافة في ملبسك وفي مظهرك، ولا أراك تستعمل فرشاة أسنان! أما السواك فإن مفقود من جيبك منذ شهور وهو من سنن المصطفى ﷺ! فأين النظافة التي حث عليها الرسول ﷺ؟ لا تغضب وراجع نفسك! ولو أصبح حالي مثل حالك، ماذا تفعل؟)[1].

---

(١) رسائل متبادلة بين زوجين ـ عبد الملك القاسم ـ ص(٢٢).

يهددني كثيراً بالزوجة الثانية، فهل هذا من معاشرة الزوجة بالمعروف، وغرس شعور الإحساس بالأمن والاستقرار!

(للزوج الحق في الزواج من أربع زوجات حسب منهج الشريعة الإسلامية، ووفق المنهج والضوابط التي أقرت ذلك من حيث القدرة على النفقة والعدالة وتوفر الإمكانيات المناسبة لهذا التعدد. ويتزوج بعض الرجال بزوجة أخرى لأسباب يرجعها إلى زوجته الأولى بأنها لم تحقق احتياجاته الفعلية أو أنها دفعته من حيث تدري أو لا تدري إلى هذا الزواج بسبب أخلاقها وتعاملها أو بسبب إفراطها في الغيرة والاستحواذ عليه ومحاسبته مما يدفعه إلى كره البيت والزوجة والبحث عن بدائل توفر له الراحة والطمأنينة.

وعلى الرغم من أن تلك الزوجة المفرطة في الغيرة أرادت ألا يتزوج عليها زوجها فقد دفعته إلى الزواج بسبب المبالغة في تصرفها. وبعض الرجال يبررون زواجهم من أخرى لأسباب تتعلق بمرض زوجاتهم، أو عدم التوافق في النظرة للحياة والمشاكل الزوجية الكثيرة. وفئة أخرى من الرجال ترى بأنه لا توجد مبررات محددة للتعدد بل طالما أن ذلك أمر مشروع فسوف يسلكه الإنسان رغبة فيما حلل الله واستغناء عما حرم الله. وآخرون منهم يرغبون في كثرة النسل والذرية الصالحة التي تدعو له بجانب العفاف والكفاف. ويلجأ بعض كبار السن إلى الزواج مرة أخرى بسبب إهمال زوجاتهم لهم وانشغالهن مع أولادهن أو عدم قدرتهن على خدمتهم. وإذا انشغلت الزوجة بنفسها أو شغلها أولادها عن زوجها فسوف يصبح الزوج أسير ذكريات

الماضي وتعيش معه الهواجس والأماني. نعم من حق الرجل أن يعدد وأن يتزوج أربع زوجات ولكن عليه أن ينهج منهج العدالة التي طلبها رب العالمين. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا﴾ (سورة النساء: ٣)[١].

وتحت عنوان «رسالة من زوجة» تقول أم محمد:

(أعتقد بل أجزم أن كل امرأة مسلمة لا تعترض على مشروعية التعدد للرجل، ولكنها تعترض على طريقة تطبيقه من بعض الرجال واستخدامهم له، حيث أن بعضهم يرى في زواجه الجديد تخلصًا من حياته الأولى ويتغير كثيرًا في تعامله مع زوجته الأولى بل يعاملها معاملة سيئة إن لم يهملها ويتركها. ومثل هذه المواقف الشاذة والسيئة تجاه بيته الأول ومع زوجته الأولى وأولاده تقترن وتصاحب كل مواقف التعدد الزوجي وهذا ما يجعل المرأة قلقة جدًا ومتحفزة لزواج زوجها من أخرى خاصة في ظل معايشتها لتجارب فاشلة حولها جعلتها تكره التعدد ذاته، لأن بعض الرجال مع الأسف الشديد أهمل زوجته الأولى وأولادها، وإنقاد إلى زوجته الثانية وبيته الجديد. وتردف أم محمد بأن حياتنا الحاضرة التي نعيشها على أرض الواقع فيها من المشاهد والشواهد الصور الواضحة.

فإهمال الرجل لبيته وزوجته الأولى وأولاده يخلف مشاكل كثيرة جدًا وأنا مدركة ـ والكلام لأم محمد ـ أن للزوجة الأولى دور في سلبية الرجل فربما تدفعه إلى التصرفات الشاذة بسبب سوء تعاملها معه. ولكن على الرجل أن يتقيد بالدين وأن يكون أهلاً للتوفيق بين رغبته وحاجته إلى الزواج الثاني وبين حقوق الآخرين وألا يذر زوجته الأولى كالمعلقة ويهمل أولاده وأمانته.

---

(١) الشهد والشوك في الحياة الزوجية ـ ص (٢٠٦) صالح بن عبد الله العثيم.

والإنسان دائـمًا مطالب بإعطاء الناس حـقوقـهم قبل أن يأخـذوها منه عنوة في موقف عظيم يفر فيه مـعظم الناس عن أقرب الناس إليهم. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (سورة عبسى: ٣٤-٣٦).

وأنا أعرف رجلاً من أقاربي تـوفيت زوجته وتزوج بزوجة أخرى لم يحبـها بينما هي أحبته من كل أعماقها وفتنت به فلم يطلقهـا وضحى بمشاعره وأحاسيسه مقابل ما تقدمه له من إكرام وإعزاز ومحـبة. وكان يقول لي ما أصعب عليَّ من اللحظات التي أرغب فيها مغـادرة منزلي ثم ترجوني للبقاء معها، وكنت أجلس مـعها على مضض إكرامًا لمشـاعرها. .فهل يوجد رجل في مـجتمعنا يلبس قـيم هذا الرجل وأخلاقه أو شيـئًا منهـا في تعامله مع زوجتـه: ربما جنس هذا الرجل موجـود فقط ولكن نسـبة وجوده ليست على المستوى المطلوب)[1].

إن الخلق الطيب وحـسن العشرة للزوجـة ليس مثلهـما شيء في تدعـيم أواصر المحبـة، والمودة بين الزوجين، وإضفـاء المناخ الصحي النقي للسـعادة الزوجـية داخل البيت المسلم. ينافي ذلك تهـديد الرجل زوجته بالزواج عليـها بلا مبرر وبلا مـقصد شرعي، اللهم إلا إحزانها والانتقام منها لتـقصيرها مثلاً في بعض الأمور داخل البيت سواء كانت مستحبة أو واجبة.

ويخطئ الزوج تمامًـا إذا اعـتـقـد أن هذا الأسـلوب ـ من أسـاليب تقـويم المرأة وإصلاح اعوجاجها.

إن الزوج المسلم الذي يحب الله تعـالى ويخشاه ينبـغي أن يكون ذا قلب رقيق، وعاطفـة جياشـة، وحسن مرهف، ونفس حـساسة، تشـعر بآلام الغيـر حتى لو لم يصرح، فيشاركه في آلامه، ويخـفف عنه أحزانه حتى لو لم يطلب، فما بالنا لو كان هذا الغير هو: زوجته حبيبته.

---

(١) المصدر السابق. ص(٢١٧:٢١٨).

إن على الزوج المسلم أن يدخل السعادة والسرور على زوجته بكل قول أو فعل، لا أن يحزنها أو ينكد عليها، لاسيما إذا كان عامدًا متعمدًا فيأثم بذلك.

إن القلوب التي تهفو للقاء ربها في جنات عرضها السموات والأرض لتنأى بنفسها عن كل خلق ذميم وسلوك مشين، بل تتنافس مع غيرها في طلب مرضاة الله - عزَّ وجلَّ - انطلاقًا من صدق المحبة لله تعالى، ومحبة ما يحبه الله تعالى.

فيا أيها الزوج الكريم:

إن كنت ترغب في التعدد، فادرس الأمر، وشاور من تثق به من إخوانك، أو استفت أهل العلم - ثم اعط قرارك وتوكل على الله، أما إن كنت لا ترغب فلا تعصِ الله في زوجتك، ولا تؤلمها فإن ذلك يؤذيها، وأذيتها حرام.

ولعل من أهم الآثار السلبية للتلويح بالتعدد:

١ - إثارة الحزن والكآبة عند الزوجة.

٢ - غرس الإحساس بعدم الأمن والاستقرار مع الزوج، مما يحملها على بعض أفعال ربما تخالف الشرع، كأن تأخذ من ماله دون أن يأذن، ضمانًا لمستقبلها من أي شيء يحدث فيما بعد.

٣ - ليس هذا هو الطريق الشرعي لتأديب المرأة أو علاج نشوزها، وإلا لدلّنا عليه الشرع، لذلك فإن الرجل يأثم بهذا السلوك المشين.

٤ - كراهية المرأة للتعدد - وذلك بسبب سوء سلوك الرجل - لأنه أصبح كالسوط المسلط على رقبتها، والعقوبة الزاجرة لها إن هي خالفت زوجها.

٥ - لا يخفى على كل عاقل لبيب أن ذلك السلوك ينافي المعاشرة بالمعروف - حتى وإن كان على سبيل المزاح - لما يثيره من الهم والحزن والغم لدى الزوجة[1].

---

(١) راجع بالتفصيل ذلك في رسالة «الرسائل التامات في تعدد الزوجات» للمؤلف.

كثيراً ما يهددني بالطلاق، ويؤلمني ذلك أكثر إذا كان أمام الأولاد، وأخشى أن أعيش معه في الحرام ونحن لاندري، وذلك بسبب كثرة التلفظ بالطلاق.

من المظاهر المؤسفة والخطيرة في حياتنا الأسرية جَعْلُ الرجل زوجته أداة يمين ليصدقه الناس حين يحلف. وكم من أسرة تشتت شملها بسبب يمين متسرع من الرجل، تطلق زوجته بسببه.

والأخطر من ذلك أن تكون الزوجة طالقًا ويعيش زوجها معها في الحرام، إما لأنه لا يفقه أحكام الطلاق، أو بسبب فتوى جاهل لا يعلم من فقه الطلاق إلا اسمه، لذا فإن التهاون بشأن الطلاق مزلق خطير ونتائجه وخيمة.

ومن مظاهر سوء خلق الرجل: إطلاق العنان للسانه بكثرة الحلف بالطلاق أو تهديد زوجته به بين الحين والآخر، وهذا أيضًا من سوء عشرته لزوجته. فهي دائمًا تعيش في قلق تخاف أن تتكلم أو تعمل شيئًا يهددها بسببه بالكلام أو تخشى أن تعيش معه في الحرام وهي لا تدري، فلما ذا يجعل الرجل زوجته تعيش في هذا القلق وعدم الاستقرار؟!!

وفي أحيان كثيرة عندما يقع الطلاق، يندم الزوج بعد أن كان يعيش حياة مستقرة ترفرف عليها السعادة والطمأنينة، بسبب نزوة غضب رعناء، أو عند يعمى بصره، ويطيش بعقله.

وقد يبدأ يبحث عمن يفتيه في إمكانية الرجعة، أو أن الطلاق لم يقع لسبب أو لآخر، ويبدأ في تَلَقُّت الرخص من هنا وهناك، مع أنه كان في غنى عن ذلك من البداية لو أنه اتقى الله تعالى في زوجته، وحكَّم عقله، ولم يجعل للشيطان عليه سبيلاً ويخطئ الرجل كثيرًا عندما يلوك لسانه بلفظ الطلاق كثيرًا لاسيما أمام أولاده، فإما أن يتعلموا منه ذلك الخلق الذميم، أو يحدث عندهم عُقد نفسية من الزواج أو من الرجال بالنسبة للبنات.

ومن النتائج الوخيمة التي تنتج عن كثرة الاستهتار بلفظ الطلاق، وهو وقوعه عند أي موقف غاضب أو مشكلة والطلاق (ليس للتسلية، ولا لتنفيس الغضب، كما يفعل بعض الأزواج الجهلة، الذي يوقع أحدهم «الطلاق» على الزوجة، عند أي خلاف أو غضب، فتثور عصبيته الحمقاء، فلا يرى مهدئًا لها سوى «الطلاق»، أو يريد فرض رأيه على زوجته، وإرغامها على فعل ما يريده، فيحلف عليها يمين الطلاق مُعَلَّقًا، مثل: إن فعلتِ كذا أو ذهبتِ إلى بيت كذا، فأنت طالق.

فهؤلاء أساءوا استعمال حق التطليق، الذي جعله الشرع بيد الزوج، لإزالة عصمة النكاح، عند وجود الحاجة، لا تبعًا للهوى، واستجابة للترفه والجهل والانفعال، وجعلوا من الطلاق، وسيلة إرهاب وابتزاز، خلافًا لحكمة الشرع الحنيف، الذي جعل الطلاق علاجًا لُمعضلة الخلاف بين الزوجين، لا سببًا لمعضلات أخرى. وهنا نوصي الأزواج، ونذكرهم بتقوى الله - عزَّ وجلَّ -، وبأن يراعوا حدود الله تعالى فيما شرع من أمر الطلاق، فلا يجعلوا «الطلاق» أُلعوبة على ألسنتهم، أو وسيلة تهديد وإرهاب للزوجة، ولا يتلفظوا بالطلاق، إلا حين الرغبة في التفرق وإنهاء الحياة الزوجية، ويتأكد أن يحصل التطليق ويُسجَّل في المحاكم الشرعية، لأنه أضمن للحقوق، وأحفظ وأثبت)[1].

(١) أصول المعاشرة الزوجية - القاضي الشيخ محمد أحمد كنعان - ص(١٩٢-١٩٣).

وتحت عنوان «كثرة التلويح والتهديد بالطلاق»: يقول الدكتور سعيد عبد العظيم: «وهذا لون من سوء معاشرة الزوجات؛ فعندما تسمع المرأة كلمة الطلاق على لسان زوجها بلا سبب موجب يهون عليها الأمر، وتستشعر عدم الأمان بل وفي لحظات الطيش والانفعال قد تسفز زوجها وتستثيره لإيقاع الطلاق عليها. الأمر الذي تتخرب بسببه البيوت والأسر ويكون سببًا لضياع الأولاد بسبب الاستهانة بمثل هذه الكلمات التي نرددها في غير موضعها الصحيح.

وقد ذكرنا كيف أن الشيطان يفرح بطلاق وفراق الرجل امرأته بل ويقول لمن آتاه بالخبر من أعوانه أنت أنت.

وقد سئل الشيخ ابن باز - رحمه الله - فقيل له يكثر بين الناس عندنا الحلف بالطلاق والحرام فما حكم ذلك؟ فأجاب بقوله: (أما الحلف بالطلاق فهو كروه لا ينبغي فعله لأنه وسيلة إلى فراق الأهل - عند بعض أهل العلم - ولأن الطلاق أبغض الحلال إلى الله فينبغي للمسلم حفظ لسانه من ذلك إلا عند الحاجة إلى الطلاق والعزم عليه في غير حال الغضب. والأولى الاكتفاء باليمين بالله سبحانه إذا أحب الإنسان أن يؤكد على أحد من أصحابه أو ضيوفه للنزول عنده للضيافة أو غيرها أما في حالة الغضب فينبغي له أن يتعوذ بالله من الشيطان وأن يحفظ لسانه وجوارحه عما لا ينبغي أما التحريم فلا يجوز سواء كان بصيغة اليمين أو غيرها لقول الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ (سورة التحريم: ١). الآية. ولأدلة أخرى معروفة ولأنه ليس للمسلم أن يحرم ما أحل الله له أعاذ الله الجميع من نزغات الشيطان»). اهـ.

وقال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم جـ (١٠) ص٦١. وفي قوله ﷺ «**إن شاء أمسك وإن شاء طلق**»؛ دليل على أنه لا إثم في الطلاق بغير سبب لكن يكره للحديث المشهور في سنن أبي داود وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «**أبغض الحلال إلى**

الله الطلاق»[1]، فيكون حديث ابن عمر لبيان أنه ليس بحرام وهذا الحديث لبيان كراهة التنزيه. قال أصحابنا: للطلاق أربعة أقسام حرام ومكروه وواجب ومندوب ولا يكون مباحًا مستوى الطرفين.

فأما الواجب: ففي صورتين: وهما في الحكمين إذا بعثهما القاضي عند الشقاق بين الزوجين ورأيا المصلحة في الطلاق وجب عليها الطلاق، وفي المولي إذا مضت عليه أربعة أشهر وطالبت المرأة بحقها فامتنع من الفيئة والطلاق فالأصح عندنا أنه يجب على القاضي أن يطلق عليه طلقة رجعية.

وأما المكروه: فأن يكون الحال بينهما مستقيمًا فيطلق بلا سبب وعليه يحمل حديث: **«أبغض الحلال إلى الله الطلاق»**.

وأما الحرام: ففي ثلاث صور:

أحدها ـ في الحيض بلا عوض منها ولا سؤالها.

والثاني ـ في طهر جامعها فيه قبل بيان الحمل.

والثالث ـ إذا كان عنده زوجات يقسم لهن وطلق واحدة قبل أن يوفيها قسمها.

وأما المندوب: فهو أن لا تكون المرأة عفيفة أو يخافا أو أحدهما أن لا يقيما حدود الله أو نحو ذلك. والله أعلم.

ولا يصح العبث بهذا اللفظ في أوقات المزاح والمرح فقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أن طلاق الهازل يقع كما أن نكاحه يصح، لما رواه أحمد وأبوداود وابن ماجة والترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«ثلاث جدُّهن جِد وهزلهن جد: النكاح والطلاق والرجعة»**[2]، كما يحرم عليه التلاعب بكتاب الله والتطليق بالثلاثة دفعة واحدة وتحتسب طلقة واحدة.

---

(١) حديث ضعيف. قال ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: لأنه لا يصح أن نقول حتى بالمعنى «أبغض الحلال إلى الله» لأن ما كان مبغوضًا عند الله، فلا يمكن أن يكون حلالاً. (الفتاوى الجامعة للمرأة المسلمة) (٢/٦٤٧).

(٢) قلت (المؤلف) حسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٣٠٢٧).

والزواج في شريعتنا ليس زواجًا كاثوليكيًا بحيث يجبر الإنسان على معاشرة من يبغض ويكره، ولا يحدث الطلاق إلا إذا اتهم زوجته بالزنا بهتانًا حتى يجيزوا له فراقها وفي ذات الوقت يجب علينا أن نتقي الله في هذه الرابطة وهذا الميثاق الغليظ: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (سورة النساء: ٢١). وهو العهد والزواج بين الرجل والمرأة فلا ينبغي الإخلال بها والتهوين من شأنها. وكل أمر من شأنه أن يوهن ويضعف من هذه الصلة فهو بغيض إلى الإسلام ولذلك يقول النبي ﷺ: «**ليس منا من خبب** (أفسد) **امرأة على زوجها**»[١]. وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صحفتها** (أي لتخلي عصمة أختها من الزواج لتحظى بزوجها ولها أن تتزوج زواجًا آخر) **ولتنكح؛ فإنما لها ما قُدر لها**»[٢]. وعن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «**أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس؛ فحرام عليها رائحة الجنة**»[٣].

وأحكام الطلاق موجودة ومفصلة في كتب الفقه. وحالات الطلاق التي تحدث لابد من الرجوع فيها لعلماء الأمة المعتبرين حتى يتم التعرف على اللفظ الذي قيل ونية المطلق وحالته وقت إيقاع الطلاق وهل طلق قبل ذلك أم لا.

فلفظ: «أنت طالق» أو «هي طالق» (صريح في إيقاع الطلاق ولا يفتقر لنية). وتعليق الطلاق على شرط كقول الرجل: «أنت طالق» (لو فعلت أو قلت كذا) مرده لنية القائل؛ فإن قصد به الطلاق كان طلاقًا إذا حدث الشرط وإذا كانت نيته التهديد والوعيد ويشق عليه فراقها ولا ينتوى طلاقها (فهذا يمين يكفره كفارة يمين بأن يطعم عشرة مساكين فإن لم يستطع يصوم ثلاثة أيام) ثم الصيغة الثالثة (عليَّ الطلاق أو الطلاق يلزمني) فهو يمين باتفاق العلماء يكفره كفارة يمين. والكنايات تفتقر لنية مثل قول الرجل الحقي بأهلك أو أنت حرام عليَّ. والمرأة إذا طلقها زوجها طلقات ثلاثة

---

(١) رواه أبو داود، والنسائي. قلت (المؤلف): وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٥٤٣٧).
(٢) قلت (المؤلف): رواه البخاري، وأبو داود.
(٣) رواه أصحاب السنن، وحسنه الترمذي. قلت (المؤلف): وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٢٧٠٦).

تبين منه بينونة كبرى ولا تحل له حتى تنكح زوجًا غـيره ولا يصح نكاح التحليل فقد لعن النبي ﷺ المحلل والمحلل له. وقول الرجل لامرأته: «طالق طالق طالق» لابد من معـرفة هل يقصد بتكريره اللفظ تـأكيد الطلقة الأولى فـتحسب تطليقـة واحدة أم أنه يقصد تأسيس طلقة ثانية وثالثة.

وإيقاع الطلاق غالبًـا لا ينفك عن الغضب وهذا الغضبان قد لا يتـصور ما يقول وبالتالي فـلابد من السؤال عن حالته وقـت إيقاع الطلاق. يقول ابن تيمـية «حقيـقة الإغلاق (يقصد رواية لا طلاق ولا عتاق في إغلاق)[1] أن يغلق على الرجل قلبه فلا يقصـد الكلام أو لا يعلم به كـأنه انغلق عليه قـصده وإرادته. قـال ويدخل في ذلك طلاق المكره والمجنون ومن زال عقله بسكر أو غـضب وكل ما لا قصد له ولا مـعرفة له بما قال. والغضب على ثلاثة أقسام:

١ ـ ما يزيل العقل فلا يشعر صاحبه بما قال: وهذا لا يقع طلاقًا بلا نزاع.

٢ ـ ما يكون في مبادئه حيث لا يمنع صاحبه من تصور ما يقول وقصده فهذا يقع طلاقه.

٣ ـ أن يستحكـم ويشـتد به فلا يزيل عقله بالكلية ولكنه يحول بينه وبـين نيته بحيث يندم عـلى مـا فـرط منـــه إذا زاد فـهذا محل نـظر وعدم الوقوع في هـذه الحالة قـوى متجه اهـ. والمحـاكم عندنا في مصر تعمل بفتاوى شيخ الإسـلام بن تيمية في الطلاق)[2].

وفي الختام ننصح كل مسلم أن يتقي الله تعالى في نفسه أولاً، ثم في أهله، وأن يتعقل عند كل تصرف يريد أن يتصرف فيه لاسيما فيما يتعلق بالطلاق. وليحذر أشد الحذر التسـاهل في إطلاق الطلاق، وجريانه على اللسان، فإن ذلك أمـر خطير، فلا يتعجل في هذه الأمور، وأن يصبر، وينظر في عواقب الأمور من قبل أن يندم.

---

(١) وقد فـسر جـمع من أهل العلم منهم الإمام أحـمد ـ رحمـه الله ـ الإغلاق: بانه الإكـراه والغضب (الفتاوى الجامعة للمرأة المسلمة) (٢/٦٤٨).

(٢) وعاشروهن بالمعروف. ص(٦٨-٧٢).

دائم التطلع إلى غير زوجته، غير قانع بها.

التطلع إلى غير الزوجة دائمًا يكون بسبب عدم غض البصر وهذا حرام، أو التطلع إلى صفات كمال من الصعب تواجدها كلها في امرأة واحدة، أو تعلقُ قلبه بغير زوجته لما يسمعه عنها من صفات يحبها وهي غير موجودة في زوجته.

وعلاج هذا كله تقوى الله تعالى: فالذي يغض بصره عن النساء الأجنبيات؛ لابد أن يرى زوجته أجمل امرأة في الدنيا بل ويقنع بها. أما من يطلق العنان لبصره فينظر هنا وهناك فعلى الأقل لابد أن تكون هناك عقوبة لذلك وهي عدم القناعة بزوجته وعدم الرضا بما هو فيه، وذلك من أعظم ما يهدم بنيان الحياة الزوجية.

ومن أعظم نتائج هذه الآفة خيانة الرجل لزوجته، وهو أشد ما يؤلم المرأة من زوجها، فقد أعطته حياتها وجمالها وشبابها ثم هو يعرض عنها بعد أن زهدها بسبب تطلعه إلى هذه وتلك.

❑ وعلاج هذه الآفة الخطيرة يتلخص فيما يلي:

١ - *تقوى الله تعالى:*

واستحضار مراقبة الله عزَّ وجلَّ له، وأن الله مطلع عليه يراه في كل وقت وفي كل مكان، فيخاف سطوات عقوبته في كل نَفَس، ويهابه في كل وقت. قال محمد بن علي الترمذي: اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره. وقال عامر بن بن عبد قيس: ما نظرتُ إلى شيء إلا رأيت الله تعالى أقرب إليه مني.

٢ - غض البصر:

وفيه فوائد:

(أحدها - أنه امتثال لأمر الله الذي هو غايةسعادة العبد في معاشه ومعاده، فليس للعبد في دنياه وآخرته أنفع من امتثال أوامر ربه تبارك وتعالى، وما سعد من سعد في الدنيا والآخرة إلا بامتثال أوامره، وما شقى من شقى في الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره.

الثانية - أنه يمنع من وصول أثر السهم المسموم - الذي لعل فيه هلاكه - إلى قلبه.

الثالثة - أنه يورث القلب أنسًا بالله وجمعية عليه، فإن إطلاق البصر يفرق القلب ويشتته، ويبعده من الله، وليس على القلب شيء أضر من إطلاق البصر فإنه يورث الوحشة بين العبد وبين ربه.

الرابعة - أنه يقوي القلب ويفرحه، كما أن إطلاق البصر يضعفه ويحزنه.

الخامسة - أنه يلبس القلب نورًا، كما أن إطلاقه يلبسه ظلمة، ، ولهذا ذكرالله سبحانه آية النور عقيب الأمر بغض البصر، قال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ (سورة النور: ٣٠). ثم قال إثر ذلك: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ (سورة النور: ٣٥). أي مثل في نوره قلب عبده المؤمن الذي امتثل أوامره واجتنب نواهيه، وإذا استنار القلب أقبلت وفود الخيرات إليه من كل ناحية، وضلالة، واتباع هوى، واجتناب هدى، وإعراض عن أسباب السعادة، واشتغال بأسباب الشقاوة، فإن ذلك إنما يكشفه له النور الذي في القلب، فإذا نفد ذلك النور بقى صاحبه كالأعمى الذي يجوس في حنادس الظلام.

السادسة - أنه يورث فراسة صادقة يميز بها بين الحق والباطل، والصادق والكاذب، وكان شجاع الكرماني يقول: من عمَّر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشبهات، واغتذى بالحلال، لم تخطئ له فراسة، وكان شجاع هذا لا تخطئ له فراسة.

والله سبحانه يجزي العبد علـى عمله بما هو من جنس عمله، ومن ترك لله شيئًا عـوضه الله خـيرًا منه، فـإذا غض بصره عـن محـارم الله عوضـه الله بأن يطلق نور بصيرته عوضًا عن حبس بصره لله، ويفـتح عليه باب العلم والإيمان والمعرفة والفراسة الصادقة المصيبة التي إنما تنال ببصيرة القلب، وضد هذا ما وصف الله به اللوطيين من العمَه الذي هو ضـد البصيرة فـقال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (سورة الحجر: ٧٢). فوصفهم بالسكرة التي هي فساد العقل، والعـمة الذي هو فساد البصيرة، فالتعلق بالصور يوجب فساد العقل، وعمه البصيرة، وسكر القلب، كما قال القائل:

قالوا: جننت بمن تهوى؟ فقلت لهم ❖❖❖ العـــشق أعظم مما بالمجـــانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ❖❖❖ وإنما يصـــرع المجنون في الحين

السابعة - أنه يورث القلب ثباتًا وشجاعة وقوة، فجمع الله له بين سلطان النصرة والحجة وسلطان القدرة والقوة، كما في الأثر «الذي يخالف هواه يَفْرَقُ[1] الشيطان من ظله» وضد هذا تجـد في المتبع لهواه - من ذل النفس ووضـاعتهـا ومهانتـها وخستـها وحقارتها - ما جـعله الله سبحانه فيمن عصاه، كـما قال الحسن: «إنهم وإن طقطقت بهم البغـال وهملجت بهم البراذين، إن ذل المعصيـة في رقابهم، أبى الله إلا أن يذل من عصـاه» وقد جعل الله سبـحانه العز قرين طاعـته، والذل قرين معـصيته، فـقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة المنافقون: ٨). ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٩). والإيمان قول وعمل، ظاهر وباطن، وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (سورة فاطر: ١). أي من كان يريد الـعزة فليطلبهـا بطاعة الله وذكـره من الكلم الطيب والعـمل الصالح، وفـي دعاء القنوت «إنه لا يذل من والـيت، ولا يعز من عـاديت» ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه، وله من العز بحسب طاعته، ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه، وله من الذل بحسب معصيته.

---

(١) يفرق: يخاف

الثامنة - أنه يسد على الشيطان مدخله إلى القلب، فإنه يدخل مع النظرة وينفذ معها إلى القلب من نفوذ الهواء في المكان الخالي، فيمثل له صورة المنظور إليه، ويزينها ويجعلها صنمًا يعكف عليه القلب ثم يَعِدُه ويمنّيه ويُوقد على القلب نار الشهوة، ويلقي عليها حطب المعاصي التي لم يكن يتوصل إليها بدون تلك الصورة، فيصير القلب في اللهب، فمن ذلك اللهب تلك الأنفاس التي يجد فيها وهج النار، وتلك الزفرات والحرقات؛ فإن القلب قد أحاطت به النيران من كل جانب، فهو في وسطها كالشاة في وسط التنور، ولهذا كانت عقوبة أصحاب الشهوات للصور المحرمة: أن جعل لهم في البرزخ تنور من نار وأودعت أرواحهم فيه إلى يوم حشر أجسادهم، كما أراه الله تعالى لنبيه ﷺ في المنام في الحديث المتفق على صحته.

التاسعة - أنه يفرغ القلب للفكرة في مصالحه والاشتغال بها، وإطلاق البصر ينسيه ذلك ويحول بينه وبينه، فينفرط عليه أمره، ويقع في إتباع هواه وفي الغفلة عن ذكر ربه قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (سورة الكهف:٢٨). وإطلاق النظر يوجب هذه الأمور الثلاثة بحسبه.

العاشرة - أن بين العين والقلب منفذًا وطريقًا يوجب انتقال أحدهما عن الآخر، وأن يصلح بصلاحه، ويفسد بفساده، فإذا فسد القلب فسد النظر، وإذا فسد النظر فسد القلب، وكذلك في جانب الصلاح، فإذا خربت العين وفسدت خرب القلب وفسد، وصار كالمزبلة التي هي محل النجاسات والقاذورات والأوساخ، فلا يصلح لسكنى معرفة الله ومحبته، والإنابة إليه والأنس به والسرور بقربه فيه، وإنما يسكن فيه أضداد ذلك)[١].

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: للإمام ابن القيم - رحمه الله - ص(١٩٣ : ١٩٦).

٣ ـ الرضا والقناعة:

قال تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى**﴾ (سورة طه: ١٣١).

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «أي ولا تمد عينيك معجبًا، ولا تكرر النظر مستحسنًا إلى أحوال الدنيا والممتعين بها من المآكل والمشارب اللذيذة، والملابس الفاخرة، والبيوت المزخرفة، والنساء المجملة، فإن ذلك كله زهرة الحياة الدنيا، تبتهج به نفوس المغترين، وتأخذ إعجابًا بأبصار المعرضين، ويتمتع بها ـ بقطع النظر عن الآخرة ـ القوم الظالمون، ثم تذهب سريعًا وتمضي جميعًا، وتقتل محبيها وعشاقها، فيندمون حيث لا تنفع الندامة، ويعلمون ماهم عليه يوم القيامة، وإنما جعلها الله فتنة واختبارًا، ليعلم من يقف عندها ويغتر بها، ومن هو أحسن عملاً»[١].

٤ ـ النظر إلى الأمور بتعقل وتبصر:

فإن الإنسان لو فكر بعقله، ووضع مقارنة حقيقية بين زوجته وبين غيرها من النساء ـ لاسيما المتبرجات السافرات ـ لوجد أن عنده في البيت نعمة لا تقدر بثمن فهي الزوجة النقية الصالحة التي ترعاه في غيبته وحضوره، تنظف له بيته، وتطهو له طعامه، وتعد له ملابسه، وتربي له أولاده، أما من يراهن في الطرقات أو على صفحات المجلات والجرائد أو في الأجهزة المرئية ـ مهما كان جمالهن ـ فإنه لا يعلم حقيقتهن من أخلاق وطباع ربما ينفر منها الزوج بالمعاشرة.

---

(١) تفسير ابن السعدي (٣/ ٢٦٠).

٥ ـ ليعلم أن أفضل خصال المرأة التقوى وحسن الخلق:

ولذلك قال ﷺ : «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[1].

فمهما كانت المرأة جميلة، ولكنها سليطة اللسان مثلاً أو سيئة الخلق والعشرة، فإن الرجل ينفر منها، حتى وإن صبر عليها بعض الوقت، لكن لن يستطيع أن يصبر إلى آخر العمر.

إن الجمال الحقيقي والذي يدوم ويثمر بسعادة حقيقية بين الزوجين يظهر في طهارة القلب من أمراض الغل والغش والحسد وغير ذلك من أمراض القلوب. وكذلك يظهر من رهافة الحس التي به تحرص الزوجة على عمل كل ما يسعد الزوج وتجنب كل ما يغضبه قولاً وعملاً. وكذلك يظهر في التواضع والقناعة، وكذلك يظهر في حساسية المرأة في حرصها على موافقة الزوج وطاعته في غير معصية وطلب مرضاته.

إن (جوانب الجمال متعددة منها جمال الروح والمرح، وجمال المداعبة، وجمال الخدمة والرعاية، وكل هذه الأنواع تندرج تحت جمال واحد وهو جمال الأخلاق فما لبس الجميل جميل عندما يحب الإنسان زوجته بفضل أخلاقها وتعاملها فإنه يرى فيها كل شيء جميل، وجمال الفطرة والطبيعة يتطلب ألا تتهرب المرأة من طبيعتها وفطرتها، وتحتل مكانة الرجل وتنزل في موقعه فإنها في هذا الحال سوف تفتقد جمالها ومكانتها، لأن مكانتها وجمالها مرهون بفطرتها وخصائصها التي تميزها عن غيرها، وإذا وضعت نفسها في غير موقعها فقدت جاذبيتها وجمالها.

---

(١) رواه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

وللجمال أنـواع كثيرة يصعب حـصرها، ولكن من أهم جوانب الجـمال وأنواعه جمـال الروح والمرح والتفـاني وإنكار الذات، وجـمال الابتسـامة حـتى في المواقف الصعبة وإشـعاع المرح في البيت. فالمرأة ذات الأخلاق مـثل الطعام اللذيذ الذي تنقاد النفس إليه سريعة وبشهية مفرطة. فإذا أرادت المرأة أن تقيس مدى مكانتها عند زوجها يمكنها أن تشاهد مستوى راحته أثناء جلوسه في بيته؛ فإذا كانت المرأة قادرة على صنع الوجبة الجيـدة التي تناسب أذواق الذين سيأكلونها وخاصـة زوجها فمن باب أولى أن يكون لتعاملها مع زوجها المكانة الأولى بهذا الخصوص.

جمال التعامل والأخلاق والمعاشرة:

وهذا النوع من الجمال هو الجـمال الحقيقي الذي يعـيش ويبقى، وهو الذي يلون المرأة ويصورها في أبهى صور الجمال وأكمله حيث أن مصدره القلب والعطاء والخوف من الله. فإذا توفـر في المرأة هذا النوع من الجمـال سعد الرجل مـعهـا ورآها أجمل الجمـيلات. وإذا كان الجمـال مقصورًا على مظهـرها فقط في غياب الجـمال الروحي والأخلاقي، فإن الجمال المظهري يزول من خلال المعاشرة الأولى وتذبل أوراقه الحلوة مع التعامل السيء وكثرة المجادلة والمناقشة.

وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: **«تنكح المرأة لمالها ولحسبها وجمالها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»**[1].

وتوجد بين أيدينا قصة واقعية من حـياة الأهل والأجداد توضح الجمال الحقيقي. والقصة تبدأ حسب عادة الأهل في الزمن السابق وهو البحث عن النسب والشجاعة، حيث أن الحياة تملي مثل هذه الاختيـارات، وبما أن أحد رجال القبيلة أخذ يبحث عن

---

(١) صحيح البخاري، النكاح (٤٧).

زوجة له فقد ذكروا له أن الشيخ فلان الفـلاني لديه بنات جميلات فذهب إليه وطلب منه إحدى بناته، فقالت له بنت أخيه التي تعيش في كنفه بسبب وفاة والدها: يا عمي أرجو أن يكون هذا الرجل نصيـبي حيث أنني أكبر البنات. وافق عمهـا على طلبها، وعندما دخل بها زوجها، فوجيء أنها ليست البنت كاملة الأوصاف التي صورت له؛ فهي متواضعة الجمال، وقصيرة، ولم يجد أمامه بدًا من طلاقها في الصباح. نام على فراش الزوجية، وأهملها وأعطاها ظهره، وهو تعبير عن عدم قناعته بها.

جلست الزوجـة العروس مـتألمة من هذا الموقف الذي ليس لـها ذنب فـيه، ولا تستطيع تعديله، فقد خلقها رب العالمين بهذه الهيئة، جلست تأن وتتألم وتحدث نفسها مـا أطول الليل في هذه الظروف. تنبـه الزوج على صوت المؤذن حي على الصـلاة، الصلاة خير من النوم، وقام ليصلي الفجر، أمسكت به زوجته وقبلت رأسه، وناشدته برجولته وشهامته أن يؤجل تطليقها حـتى يمر شهر، لكي لا تصبح لقمة يتناقل قصتها القريب والبعيد، ويعللون ويحللون لماذا جلس معها يوم واحد فقط ولماذا؟

مع مرور الأيام، غير رأيه وقرر الاحتفاظ بهـا، وأصبحت زوجته التي يحبها من كل جوارحـه. وكانت كل ليلة تقـوم على رعاية زوجـها أثناء نومـه ومبادلـته بعض الأحاديث التي يحبـها حتى ينام، ثم تذهب في استكمـال شئون بيتها، وبعـد إكمال هذا العـمل تنساب بنعـومة بجوار زوجـها على فـراشه. وذات ليلة وأثنـاء وجودها بجواره، سألها زوجها هل ربطت الفرس بقفله؟

أجابته بالإيجاب؛ رغبة في عدم تكدير خاطره، ووضعت في بالها بأنه بعد نومه سوف تتـولى هذه المهمـة. وبالفعل قامت بـعد نومه وذهبت إلى الفـرس لكي تربطه ولكن الفرس تجـفل أثناء قدوم الزوجـة إليه، وكان ثوبهـا يداعبه الهـواء يمنة ويسرة، وأخذ الفرس يتحـرك بحركات غريبة جعلت الزوج يفـيق من نومه ويبحث عن الذي

هيج هذا الفرس وجد صورة شخص أمام الفرس جالسًا بجواره واعتقد أن لصًا يسعى إلى سرقته. وجه الزوج بندقيته نحو السارق، وأطلق النار عليه حتى قتله. وعندما تبين له أنها زوجته تألم كثيرًا وحضنها بكلتي يديه وهو يقبل تربتها، ويبكي عليها من شدة الألم كيف له بزوجة مثلها. ثم بعد وقت أخذ في البحث عن زوجة أخرى، وكل زوجة يتزوجها يفتقد مواصفات زوجته السابقة، يقوم بتطليقها حتى تعب ولم يجدها بين النساء. فقال قصيدة عصماء طويلة يصفها ويصف تعاملها وأخلاقها، ويبكي تلك المواقف الجميلة التي عاشها معها.

ومن هذه االقصة نعرف بأن الجمال السطحي سقط وهوى ودفن عندما قارع الجمال الطبيعي الذي تسنده الأخلاق العطرة والتعامل المتميز)[١].



(١) الشهد والشوك في الحياة الزوجية - ص (٩٥-٩٧) بتصرف بسيط.

لا يشعرني بالأنس، وشيء من التسلية وأحاديث القلب والروح، وأخبار الفكاهة والمُلَح، ليست في قاموس تعاملاته.

مما ينبغي أن يفهمه الأزواج جيدًا، أن سعادة الزوجة ـ لا تقف عند إغداق النفقات عليها، وإعطائها الأموال بسخاء، بل هناك أسباب أخرى مهمة ذات شأن كبير عند الزوجة تسعدها، وتجعلها تشعر بالهناء والسرور، وتجاهل الرجل لهذه الأسباب، أو عدم اكتراثه بها شيء خطير للغاية، يحدث بسببه فجوة بين الرجل وزوجته وهو لا يدري ما هو السبب؟

من هذه الأسباب المهمة إشعار الزوجة بالأنس، بتبادل الأحاديث الشيقة معها، وتجاذب أخبار الفكاهة والمُلَح.

وقد كان من هديه ﷺ إيناس أزواجه والسمر معهن، مع كثرة مشاغله، وعظم أعباء الدعوة والدولة.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: «استأذن عمر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وعنده نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه[1]، عالية أصواتهن[2]، فلما استأذن عمر قُمْنَ يبتدرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ، فدخل ورسول الله ﷺ يضحك.

---

(١) **يستكثرنه:** قال النووي: قال العلماء: معنى يستكثرنه: يطلبن كثيرًا من كلامه وجوابه بحوائجهن وفتاويهن.

(٢) **عالية اصواتهن:** قال القاضي عياض، يحتمل أن هذا قبل النهي عن رفع الصوت فوق صوته ﷺ، ويحتمل أن علو أصواتهن إنما كان باجتماعهن لا أن كل واحد بانفرادها صوتها أعلى من صوته ﷺ.

فقال عمر: أضحك الله سِنَّك يا رسول الله.

قال ﷺ: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب».

فقال عمر: فأنت يا رسول الله أحق أن يهبن. ثم قال عمر: أي عدوات أنفسهن، أَتَهِبْنَنِي ولا تَهبن رسول الله ﷺ؟!

قلن: نعم، أنت أغلظ وأفظ.

قال ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان قط سالكًا فجًا إلا وسلك فجًا غير فجك»[1].

وكذلك في حديث أم زُرع المشهور الذي رواه البخاري ومسلم عندما قصت عائشة ﵂ حديث إحدى عشرة امرأة، كل واحدة تخبر عن زوجها، وذلك كان بعد صلاة العشاء، وبوب عليه الإمام البخاري: (باب السمر مع الأهل). فتأمل أخي الزوج حسن عشرة النبي ﷺ لزوجاته، وكريم خلقه معهن، وكيف أنه كان ﷺ يقتطع شيئًا من وقته يتسامر فيه مع أهله، بدليل إصغائه ﷺ لعائشة ﵂ وهي تحدثه عن قصة وقعت في الجاهلية، من نساء اجتمعن وتعاقدن على أن تخبر كل واحدة منهن من خبر زوجها معها شيئًا.

قال القاضي عياض: وفي هذا الحديث من الفقه: التحدث بمُلَح الأخبار، وطُرَف الحكايات؛ تسليةً للنفس، وجلاءً للقلب، وهكذا ترجم الإمام الترمذي عليه: «باب ماجاء في كلام رسول الله ﷺ في السمر».

إن مؤانسة الرجل لزوجته، وشعورها باهتمامه بها، يسعد الزوجة كثيرًا، ويريحها ويزيح عنها متاعب اليوم كله من العمل داخل البيت وتربية الأولاد.

(وفي الإهمال كثير من الأخطار، فإن مكث المرأة في الدار وطول القرار، وبُعد زوجها عنها الساعات الطوال، يسرب إلى نفس الزوجة السآمة والملال، والضيق والأحزان.

---

(١) متفق عليه.

فينبغي للزوج المسلم أن يدرك الأخطار قبل وقوعها، فيشعر زوجته بالإيناس ويسليها بتحديثها عن آماله وآلامه، وأشواقه وأحلامه، وأحواله في عمله مثلاً، ومواقف الحياة الطريفة... وأخبار العالم وأحداثه المثيرة، ومواقف للدعوة والدعاة.. والسؤال عن أحوالها وأخبارها وشئونها.. إلى غير ذلك مما يصل حبال الأنس بينهما.

وينبغي للزوج المسلم أن يشعر زوجته بقوة ارتباطه بها، وعظم اهتمامه بها، وأنها في بؤرة شعورة لا هامشه، في سويداء قلبه لا جوانبه.

خيالك في عيني وذكرك في فمي ❖❖❖ ومثواك في قلبي فأين تغيب

فلا يشغله عنها كثرة الأعمال: سواء كانت تجارة وجمع مال لتحسين الحال، أو كثرة الأسفار والحل والترحال، أو طلب العلم، أو شئون الدعوة.. كل ذلك لا ينسيه حقها من المؤانسة والتسلية.

كيف ينسيه ومن هو أكثر منه مشاغل، وأعظم تبعة كان حريصًا على هذا الجانب، لا يغفله في حضر ولا سفر؟ تلك هي العظمة التي توازن بين المطالب والحقوق، فلا يطغى جانب على جانب، بل يعطي كل ذي حق حقه بالعدل والميزان، بلا زيادة ولا نقصان. حينها تسير سفينة الحياة الزوجية آمنة في غاية الاستقرار، مصونة من الأعاصير والأخطار.

فاحذر يا أخي الزوج المسلم أن تجعل حياتك وتصرفاتك أمام زوجتك ألغازًا وأسرارًا، ولكن أشركها معك في أمورك، وأطلعها على أحوالك بقدر، وإن كان لابد من ستر شيء هام، فعوضها عن ذلك بما يذهب وحشتها، ويؤنس وحدتها، تنل حبها وثقتها، وتحقق سعادتها. وارجع دائمًا إلى هدى خير الأزواج ﷺ، وتأمل فيه وتدبر، واجتهد واعمل. وعليك بكتب المُلَح والطرائف من أخبار الأذكياء والبخلاء، والحمقى والمغفلين، ونوادر العرب وغيرها ففيها زاد طيب)[١].

---

(١) كيف تسعد زوجتك - محمد عبد الحليم حامد - ص(٣١-٣٣).

ومن المظاهر الخاصة لتسلية الزوج زوجته ومؤانستها، الترويح والملاعبة، والذي من شأنهما إشاعة المحبة بين الزوجين، مما يقوي وشائج الألفة بينهما، ويجلب السعادة لأهل البيت جميعهم.

ولقد كان من هديه ﷺ الترويح عن زوجاته بالفكاهة والمداعبة، والمزاح والملاعبة، تأنيسًا لهن، وتلطفًا بهن، وإدخالاً للسرور عليهن، وكان يحث ﷺ أصحابه على ذلك أيضًا.

فعن جابر رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في غزوة، فلما رجعنا وكنا قريبًا المدينة، قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بعرس. قال: «أتزوجت». فقلت: نعم. قال: «أبكر أم ثيب» قلت: بل ثيب. قال: «فهلا بكرًا تلاعبها». وفي رواية: «فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك». أو قال: «تضاحكها وتضاحكك»[1].

فلم ينكر النبي ﷺ أن يلاعب الرجل أهله وتلاعبه، وأن يضاحكها وتضاحكه، بل حث على ذلك، رغم أعباء الرسالة والدولة التي كانت على عاتق النبي ﷺ. لذلك من الخطأ أن يفهم البعض أن من «الخشية» أو «الالتزام» أو «التقوى» العبوس في وجه الزوجة، وأن تكون الحياة والعلاقة بينهما جادة، تفتقد إلى لغة المشاعر، والكلمة الطيبة، والابتسامة الحلوة، والفكاهة المضحكة.

إن السلوك الراقي والتصرف الحكيم والذوق العالي له لغة، لكنها غير مكتوبة ككل اللغات إنها لغة الإحساس الرقيق ـ لغة المشاعر النبيلة والوجدان الفياض.

هذه اللغة السامية نحن بحاجة إلى التدرب عليها، واستعمالها في حياتنا بشكل عام، وحياتنا الأسرية على وجه الخصوص.

---

(١) متفق عليه.

إن لغة المشاعر والأحاسيس والقلوب والوجدان هي السعادة والهناء، عندما ترفرف طيورها الجميلة على البيت المسلم، فتُسعد كل من فيه، وكل من حوله. الزوج ينظر إلى زوجته، فيحس بها إن كانت سعيدة أم حزينة، إنه يتجنب السؤال المباشر، لكنه يفهم السبب الذي من أجله تبدو زوجته كما يراها، فيتعامل معها على هذا الأساس، يحاول إزالة ما يغضبها أو يحزنها، أو يزيد مما يسعدها ويفرحها، إنه يشعرها بالاهتمام ويتذكرها، دون أن تُذكره - في المناسبات الخاصة - بالهدايا، حتى وإن كانت رمزية، وهنا يزداد الحب وتقوى العواطف وتتعمق الأواصر.

(والزوجة التي ترى زوجها متضايقًا لا تسأله عما يضايقه، لأنها أدركت السبب فسارعت إلى إزالته أو تغييره، إن كان السبب في المكان أو في المظهر أو في الطعام أو في الاهتمام. إنها ليست بحاجة إلى أن يقول لها لماذا فعلت أو لم تفعلي .. إنها تدربت على لغة القلوب والمشاعرة، تكفيها النظرة، تكفيها الإشارة، وكل لبيب بالإشارة يفهم .. وهكذا ينعدم من حياتها وحياة زوجها اللوم والتأنيب والشجار والألفاظ الجارحة والاتهامات المتبادلة.

والأبناء الذين يعيشون في أجواء هذه المشاعر والمعاني الرقيقة، ويتدربون عليها، يعيشون في ود وصفاء وأدب وحياء. تعالوا جميعًا نجرب هذه اللغة. ونعيش آدابها ومعانيها، وسنرى كيف تؤثر في حياتنا وحياة مجتمعاتنا. هيا نبدأ بأنفسنا أولاً)[1].

ولنضرب هنا بعض الأمثلة التي كان من شأنها يشعر النبي ﷺ أهله فيها بالاهتمام بهن، وإدخال السرور عليهن، وإشعارهن بالأنس والمرح، لعل يتعلم - ذلك أهل الجفاف والجمود، الذين هربت منهم خفة الروح، وشقيت بهم زوجاتهم.

---

(١) جريدة «آفاق عربية» المصرية.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره. وأنا جارية - أي حديثة السن لم أحمل اللحم ولم أبدن .. فقال للناس: «تقدموا»، فتقدموا، ثم قال: «تعالِ، حتى أسابقك»، فسابَقته فسبقته، فسكت عني، حتى حملت اللحم وبدنت وسمنت، فخرجت معه ﷺ في بعض أسفاره، فقال ﷺ: «تقدموا»، فتقدموا، ثم قال: «تعالِ، أسابقك»، فقلت: كيف أسابقك يا رسول الله وأنا على هذه الحال؟ فقال: «لتفعلن»، فسابقته، فسبَقني، فجعل يضحك ﷺ وهو يقول: «هذه بتلك»[(١)].

وعنها رضي الله عنها أيضًا قالت: «كنت ألعب بالبنات[(٢)] عند رسول الله ﷺ، وكانت تأتين صواحبي فينقمعن[(٣)] من رسول الله ﷺ وكان يسربهن إلي، فيلعبن معي»[(٤)].

وعنها رضي الله عنها أيضًا قالت: «كنت أشرب وأنا حائض - أي من إناء النبي ﷺ - فيضع فاه[(٥)] على موضع فمي فيشرب، وأتعرق العرْق وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ، فيضع فاه على موضع فمي»[(٦)].

وعنها رضي الله عنها أيضًا قالت: «كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد، بيني وبينه تختلف أيدينا عليه، فيبادلني حتى أقول: دع لي دع لي. قالت: وهُما جُنبان».

فيا أيها الزوج الحبيب! راجع نفسك وانظر (هل أنت زوج تلاعب زوجتك وتداعبها وتمزح معها، وتحسسها بمكانتها الزوجية والإنسانية، أم أنت زوج تمثل شخصية مصطنعة في البيت، تدخل عليهم والهم يحملك، والعبوس يقتلك.

خرج طفل إلى السوق يزف البشرى لأقرانه عندما رأى والده قد ضحك، لاعتقاده أن الآباء لا يضحكون. وقالت ابنته: نحتاج إلى عيد ثالث، أول مرة أرى أسنان والدي في البيت)[(١)].

---

(١) رواه أحمد وأبوداود.
(٢) المراد لعب الأطفال والدُمي.
(٣) ينقمعن: يستخفين هيبة منه عليه السلام.
(٤) متفق عليه.
(٥) فاه: فمه.
(٦) رواه مسلم.
(٧) الشهد والشوك في الحياة الزوجية - ص(١١٦).

لا يشاركني آلامي، ولا يخفف عني أحزاني، ولا يطيب خاطري ولو بالكلمة الطيبة. لا يشعرني بحنانه ولطفه وخوفه عليّ.

إن أساس حسن عشرة الرجل لزوجته: حسن الخلق فهو أساس صرح الحياة السعيدة داخل البيت، ومن مظاهر ذلك: الوقوف بجانب الزوجة، فقد تمر بها أزمات من مرض أو مشكلات، فتبقى تعيسة الحال، صريعة الصداع والدوار، تحتاج بشدة إلى من يقف بجانبها، يزيل عنها آلامها ويخفف عنها، يوصيها بالصبر والأجر عليه، يذكرها بالله، وذلك ببسمة حانية، وقلب رقيق يخاف عليها، وعاطفة جياشة تشعر بآلام الغير حتى لو لم يصرح.

إن تطييب خاطر الزوجة بالكلمة الطيبة، والبسمة الحانية، والهدية الجميلة، يمسح عنها ولاشك عناء الآلام، ويداوي الأسقام، ويضمد القلب المكلوم، فحينئذ تتبدل الهموم أفراحًا، والأحزان سرورًا، والتعاسة سعادة.

ولماذا يبخل الزوج على زوجته بذلك وهي حبيبته، وأم أولاده؟!

لماذا لا نتخذ من هدي النبي ﷺ القدوة في معاملة زوجاتنا؟!

اشتكت عائشة رضي الله عنها يومًا فقالت: وارأساه. فقال رسول الله ﷺ: ذاك لو كان[1] وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك.

فقالت: واثكلاه، والله إني لأظنك تحب موتي، ولو كان ذلك لظللت آخر يومك معرسًا ببعض زوجاتك.

---

(١) أي لو كان هذا مرض الموت وأنا حي لأستغفر لك.

فقال ﷺ : «بل أنا وارأساه»(١).

أرأيت أخي الحبيب إلى هذا الحنان وتلك المشاركة في تطييب الخاطر.

وعن عثمان بن عبد الله بن موهب، في حديث طويل قال: وأما تغيبه ـ يعني عثمان بن عفان ـ عن بدر، فإنه كان تحته رقية بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له النبي ﷺ : «اقم معها، ولك أجر ممن شهد بدرًا وسهمه»(٢).

فهذا مثال عملي نهديه للرجال ونعلمهم فيه: كيف بلغ الحنان برسول الله ﷺ هذه المكانة العالية، أن حثَّ عثمان رضي الله عنه على البقاء مع زوجته المريضة مشاركة لها في أزمتها، وتخفيفًا لآلامها، وتطييبًا لخاطرها .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: اعتل بعير لصفية بنت حيي، وعند زينب فضل ظهر، فقال رسول الله ﷺ لزينب: «اعطيها بعيرًا». فقالت: أنا أعطي تلك اليهودية. فغضب ﷺ ، فهجرها ذا الحجة، والمحرم، وبعض صفر(٣). فلنتأمل كيف طيَّب رسول الله ﷺ خاطر صفية المكلومة بهجر زينب رضي الله عنها هذه المدة.

وعن أنس قال: بلغ صفية أن حفصة قالت: إنها بنت يهودي فبكت فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: «ما يبكيك»؟ قالت: قالت لي حفصة: أنت ابنة يهودي. فقال النبي ﷺ : «إنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، فبم تفتخر عليك». ثم قال: «اتقي الله يا حفصة»(٤).

فلننظر كيف عالج الرسول ﷺ الأمرين بين زوجتيه، وكيف انتصر للمظلومة وطيَّب خاطرها بجميل الكلام، وكيف أوصى المخطئة بتقوى الله تعالى؟

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أبوداود.

(٤) رواه النسائي والترمذي.

إن الزوج العاقل هو الذي يعالج الأمور داخل بيته بحكمة القائد الراعي، وبرقة الزوج المحب، يطيب خاطر الزوجة المكلومة بحكمة ولطف، ويعاتب المخطئ بلا عنف، ويعاقب بلطف ويواسي بحنان ،ورقة، هو الزوج الذي يجنب نفسه وأهل بيته منغصات ومشاكل لا داعي لها، بل ويبدل ذلك سعادة وهناء.

ومن المظاهر الطيبة الجميلة في تطييب خاطر الزوجة؛ الهدية لاسيما إذا كان قد أخطأ في حق زوجته، أو أساء إليها، أو جرح مشاعرها، وأهانها.

ولماذا لا يتنازل الرجل عن كبريائه، ويعتذر بكل رجولة عن خطئه، ويرجع إلى الحق، أو يخفف من وقع كلماته القاسية أو يده الطائشة مما يدخل على قلبها الفرح والسرور، ويجعلها تنسي ما حدث وتصفح عنه؟!

فهيا أيها الأزواج عَودوا أنفسكم ودَربوها على هذا السلوك الراقي وهو تطييب الخاطر، لتنحسر المنغصات، وتقل المكدرات، ويتجنب البيت ويلات شقاق وشجارات وجحيمًا لا يطاق.

وفي حديث أم زرع المشهور عند البخاري ومسلم قالت المرأة السادسة: «زوجي إن أكل لف، وإن شرب اشتف، وإن اضطجع التف، ولا يُولج الكف ليعلم البث».

فهي تصف زوجها أنه إذا أكل مرَّ على جميع ألوان الطعام التي على السفرة فأكل منها جميعًا فهو أكول، وهو أيضًا نهوم، فإذا شرب شرب الماء عن آخره، وإذا أراد أن يضطجع التف في اللحاف والفراش وحده بعيدًا عنها.

ولا يولج الكف ليعلم البث: أي لا يدخل يده إلى جسدها ويرى ما هي عليه من حال وأحزان، فهي تصف زوجها بما يُذم به الرجل وهو كثرة الأكل والشرب، وعدم الاكتراث بها.



أين كلمات الثناء والتشجيع التي تدفعني إلى النشاط وتبعث فيَّ البهجة والسرور، وتقوي من عزيمتي، وتعلي من همتي.

لا يخفى على أحد دور الكلمة الطيبة في إذكاء روح الحب والتوادد بين الناس، فما بالنا لو كان ذلك بين الزوجين، وبصفة خاصة من الزوج لزوجته. أين الإشادة بعملها داخل البيت (لو سأل كل رجل نفسه: كم مرة أثنى على وظيفة زوجته في منزلها لوجد أن رصيده من هذا القبيل متواضع، فالكل يعرف دور التشجيع وأثره في حفز الهمم، وبعث النشاط، فهو الوقود الذي يحرك الحياة، ويبعث فيها البهجة والسرور والحيوية والنشاط.

والزوجة كغيرها تتمنى أن يحس الآخرون بدورها وبوجودها، ويدفعونها إلى دورها الإيجابي عبر الإحساس بكيانها ومهمتها ورسالتها.

الزوجة تحمل شخصية مستقلة ولها آراؤها وأفكارها التي تناسبها، ولكنها في الغالب رقيقة المشاعر والعواطف سهلة القيادة لمن يحس فن القيادة. فمن السهل أن تحركها للهدف الذي تريد إذا استطعت أن تستحوذ على عواطفها وتسيطر على وجدانها وتسير عبر أفكارها إلى ما تنشد. فالزوجة لا تعكر على زوجها الحياة لأنها تكرهه، ولكن تفعل ذلك تحت ضغط الظروف النفسية، والجسمية بسبب طبيعتها كأنثى فالضعف يولد القلق، وآلام الدورة الشهرية وظروفها تدفع إلى العصبية، وضوضاء الأولاد يقضي على رصيد المرأة من الصبر والقدرة على التحمل.

إذا كانت المرأة هي أول من يقوم من أهل البيت وآخر من ينام، ألاتستحق هذه التضحية الدائمة التقدير والاحترام وكلمة تشجيع واحدة من زوجها يحسسها بما تقوم به من دور فعال ومؤثر لخدمة العائلة تنسيها المتاعب وتجدد من حيويتها ونشاطها وتمنحها الثقة والقدرة على مضاعفة الاحتمال. كل أهل البيت يمرضون وتسير عجلة الحياة في البيت، ولكن عندما تمرض الزوجة تتوقف الحياة. ثم بالتالي فإن المرأة لها المفاهيم والأفكار الخاصة بها التي تدافع عنها انطلاقًا من نظرتها للحياة وفهمها لها حسب مكوناتها وتجاربها.

الزوجة تملك مواصفات جمالية متنوعة، ألا يستحق جمالها الإشادة به حتى يستمر في بريقه، تقول بعض الزوجات: كثيرًا ما تقف الواحدة منا أمام زوجها وقد وضعت مسحة كبيرة من الجمال على جسمها، ولبست أغلى وأحلى ملابسها وأنفقت كثيرًا من وقتها وجهدها، ثم تقف أمام جماد لا ينبض بالحركة، أين مشاعر وأحاسيس هذا الزوج هل دفنها بعد ليلة الزواج، أم أن مشاعره تتحرك وتود أن ترى النور ولكنه لا يستطيع أن يبوح بها بسبب العادة، تتمنى المرأة أن تدفع الكثير لتسمع من زوجها شعوره نحوها وإحساسه بها. تقول زوجة كم أتمنى أن يطربني زوجي بكلمة إعجاب واحدة لأعلقها وسامًا غاليًا في منزلي.

قامت زوجة بالإشادة بجمال صديقتها فقالت لها بعد أن شكرتها: يا ليت زوجي يشوف بعيونك، ردت عليها الأخرى قائلة مسكينة تلك المرأة الجميلة التي يكون زوجها أعمى لا يرى.

بعض الرجال يلوم الزوجة على عدم اهتمامها بنفسها والتجمل له، ويتساءل لماذا تهتم زوجتي بنفسها عندما تزور أقاربها وربما كان الجواب هو أنهم يشعرونها بجمالها وكثير من الرجال لا يفعل ذلك بسبب الموروثات التي عاشوها وتربو على ضفافها. فمن النادر أن يشاهد الإنسان والده أو قريبه أثناء الطفولة مثلاً يتغنى بجمال زوجته.

والمرأة تتألم من جفاء الرجل لها وعدم إحساسه بها.

قيل لامرأة كم أنت جميلة جدًا! قالت: إن زوجي يرى كل شيء إلا جمالي فهو مصاب بعمى الجمال. وسألت امرأة زوجها: لماذا لا يشيد بجمالها كما كان يفعل قبل الزواج بها؟ قال مازحًا: لقد نضبت الكلمات من بحر حب كنت أملكه كسلاح لإدخالك قفص الزواج وأشبك فيك رباطه، وقد حققت ذلك فلماذا أضع الطعم للسمكة بعد صيدها)[1].

تقول إحدى السيدات: «المرأة تحب وتكبر من يحترم جمالها، ويهتم بأناقتها وملابسها، ويتفاعل مع دلالها. المرأة تسعد كثيرًا عندما يثنى الزوج على ملابسها وأعمالها. المرأة تتعب في تجميل نفسها، وتحسين صورتها، وتحتاج إلى قطف ثمار هذا الجهد بكلمات تقدير وثناء.

المرأة تحتاج إلى إشباع بعض غرائزها العاطفية عبر الإحساس بوجودها، والإحساس بجهودها واحترام مجهودها. المرأة تحب أن تعرف صورتها وحجمها من أقرب المحيطين بها وأولهم زوجها. إن التشجيع والمرح يدفع الزوجة إلى الحماس في تحسين صورتها الشكلية والمعنوية أمام زوجها)[1].

فهلاً استفاد الأزواج من هذه النصيحة، والي ترسلها لهم زوجة كهدية في كيفية معاملة زوجاتهم.



(١) الشهد والشوك في الحياة الزوجية ـ صالح بن عبد الله العثيم ـ ص(١١٤-١١٦).

لا يبالي بتربية الأولاد، ويعتمد في ذلك عليَّ بمفردي، ومعلوم أن الأب إذا تخلى عن القيام بواجباته التربوية تجاه أولاده، فإن ذلك يعيق نموهم الخُلُقي والفكري والجسمي.

من الثغرات الخطيرة في بيوتنا هي تخلي الأبوين عن تربية الأولاد، أو عدم تعاونهما في تربية الأولاد، وذلك بسبب عدم وضوح الرؤية عندهما أو عند أحدهما في منهج التربية وأسلوبه فينتشأ الأولاد وقد تربوا على المجلات وشرائط الأغاني وأصدقاء السوء وتقليد الكفار والتشبه بهم، وهذا هو الواقع الملموس الذي نراه اليوم في كثير من الأولاد.

(أصبح رب الأسرة وفي معظم الأحيان ـ عاجزًا عن أن يجد الوقت الذي يجتمع فيه بنفسه أو بأفراد أسرته يوجههم ويحدثهم ويستمع إليهم، حتى إن زوجته لا يتاح لها أن تجلس معه وتتفاهم معه على الخطة الرشيدة التي يجب أن يسير بموجبها أفراد الأسرة، ففي الصباح يسارع إلى عمله الدنيوي، ولا يعود إلا لتناول طعام الغذاء وأخذ قسطٍ من الراحة تُمنع خلاله الحركات والهمسات، ولا يعود في المساء إلا في ساعة متأخرة من الليل ليجد أهل البيت نيامًا.

وإذا كان هذا الوضع مستنكرًا صوره من عامة الناس فإنه من المتدينين أشد، واللوم لهم أكثر، ذلك لأن الأخ المتدين سيجد نفسه ـ بعد مدة ـ في واد، وزوجته وأولاده في واد آخر، سيندم ولات ساعة مندم. ومن المؤسف أن هذا الشغل لم يقتصر على الرجل بل شمل في بعض الأسرة المرأة التي تترك بيتها سحابة النهار وتكل تربية أبنائها وإعداد بيتها للخادمة، فيكون ذلك من الضياع التام.

والشغل متنوع، وأكثره في الدنيا والكسب، غير أن هناك نوعًا غريبًا جدًا من أنواع الشغل، وهو ما يكون للدعوة وإصلاح الناس. وذلك خطأ في تصور الدعوة والعمل فيها، والمرء مطالب بأن يصلح أهله أشد المطالبة، يقول الله تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذينَ آمنُوا قُوا أنفُسَكُمْ وأهْليكُمْ نارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائكَةٌ غلاظٌ شدادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (سورة التحريم:٦). ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصبر عليها﴾ (سورة طه:١٣٢). وهذا الاهمال لأهله سيوقعهم في الانحراف والمخالفة، وعندئذ لا يقوى على الاستمرار في الدعوة إلى الله، إذ سرعان ما تلوكه الألسنة، ويقال له: إن كنت صادقًا فأصلح بيتك، ويكون هذا الوضع الخاص مضعفًا لتأثيره في الناس، لأن معنى القدوة يفوت بوجود مثل هذا الوضع، ويكون ذلك سببًا في أن يتعكر صفوه، وتتنغص عليه لذاته، وفي أن تتولد فيه عقد، وتواجه مشكلات، قد تحول بينه وبين الاستمرار في الدعوة)[١].

إن للأب في الإسلام مكانة عظيمة وجليلة، فهو القائم على أسرة مكونة من زوجة وأولاد وخدم - إن وجدوا - وهو مسئول عنهم، وعن استقامتهم على منهج الله - عزَّ وجلَّ - لقوله ﷺ: «ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[٢]. أي أنه سيُسأل يوم القيامة عن هذه الرعية، هل حفظها بحفظ الله، أم ضيَّعها بإهماله لها؟

من هذا المنطلق يتبين للأب المسلم مدى اهتمام الشريعة به، والمقومات الأساسية التي يجب أن يتحلى بها، وواجباته الأسرية ومهامه تجاه تربية أولاده.

ومن النصائح المهمة والتوصيات التي تُبصر الأب بأولويات المهام والمسئوليات التي لابد له من أخذها في الاعتبار عند تربية أولاده:

---

(١) نظرات في الأسرة المسلمة - دكتور محمد لطفي الصباغ - ص(٢٩-٣٠).
(٢) رواه مسلم (٢٠).

١ - يوجب الإسلام على الأب تعليم ولده وتأديبه، وتعريفه أحكام الحلال والحرام مما يتطلب علم الأب بهذه الأحكام ومعرفته بها، لهذا يُوصي الأب بأن يطلع على التشريعات الإسلامية، خاصة الأساسية منها، ليتمكنَ من تعليم أولاده - منذ حداثتهم - أحكام الحلال والحرام في صورة مبسطة سهلة يمكنهم إدراكها واستيعابها. ومن ثمَّ متابعتهم في العمل بها وتطبيقها في واقع الحياة.

٢ - يُعتبر التلقين لأساسيات الدين ومفاهيمه الكبرى في مرحلة الطفولة وسيلة هامة من وسائل التربية الفكرية، فكل ما يتلقاه الولد الصغير من معلومات ومفاهيم تُسجل في حافظته، وتُنقش في قلبه، فإذا كبر عقلها بصورة أفضل، وطبقها بصورة أحسن، كما أن اقتناعه وقبوله لهذه المعلومات والمفاهيم سهل ميسر في هذه المرحلة، وبناءً على ذلك يُوصى الأب بوضع هذه المفاهيم موضع الاعتبار عند ممارسته للتربية.

٣ - تؤثر اللغة المستخدمة مع الطفل على فكره وخلقه ونموه العقلي، فهي الأوعية والقوالب التي تنقل الاعتقادات والرموز والأفكار والتصورات من جيل إلى جيل، لهذا يُوصى الأب بحسن استخدامها، واختيار أفضل الألفاظ، وأثرى العبارات المهذبة، مع التركيز على طول الجمل الكلامية عند مخاطبة الولد، وتنويع الكلمات والعبارات، وذلك ليتزود الولد بالمعلومات الجديدة حول طريقة اللفظ، والتعرف على مفردات جديدة تثري مخزونه من الكلمات، وتعرفه أساليب عرض المعلومات.

٤ - يُعد التقليد الأعمى، واتباع الهوى، وانحراف المدرسة الحديثة من معوقات التربية الفكرية للولد، مما يتطلب توصية الأب بتنمية شخصية الولد، ورفع معنوياته، وبذر روح الطموح والمثابرة وعلو الهمة في نفسه وعقله، ليواجه بقوة هذا الانحراف، مع حفظه وحمايته من انحرافات المدرسة، بحسن اختيارها، ومتابعة مناهجها، وتزويد الولد بالقدرات والمهارات الفكرية اللازمة، ليتمكن من التمييز بين الحق والباطل من المعلومات والأفكار والتصورات التي يتلقاها من أساتذته.

٥ - أثبتت بعض البحوث الميدانية أن الفراغ من أهم أسباب الوقوع في المعاصي والمنكرات، والانحرافات الخلقية والسلوكية المختلفة، ويرجع سبب وجود هذا الفراغ إلى عدم معرفة الهدف الصحيح والغاية من الحياة، وعدم وجود التصور الواضح المتكامل لهذه الحياة، والجهل بمهام الإنسان ومسؤولياته في هذا الكون، فأدى الجهل بهذه المفاهيم إلى أن تصل ساعات الفراغ عند بعض فئات الشباب إلى أربع ساعات يوميًا، وسبع ساعات في أيام الأجازات، مما ينذر بخطورة سوء استغلال هذه الأوقات الطويلة فيما لا يعود بالخير على النفوس والأوطان.

وليس ثمة حل لهذه المشكلة سوى أن يُوصى الآباء بإشغال هذا الوقت الطويل لدى أولادهم من خلال إقامة النشاطات في جداول زمنية منظمة تكفل شغل كامل يوم الولد دون ثغرات.

٦ - تشكل ظاهرة انتشار الخادمات الأجنبيات خطرًا فادحًا على عقيدة الولد وخلقه وثقافته، خاصة اللاتي لا يُجدن اللغة العربية منهن، وقد دلت البحوث الميدانية بمنطقة الخليج على أن أكثرهن غير مسلمات، ولديهن اهتمام بعقائدهن وشعائرهن التعبدية، إلى جانب ثبوت انحرافات خلقية وسلوكية عند كثير منهن، مما يشير إلى مدى الخطورة المتوقعة من أمثالهن على الأولاد.

ولاشك أن الأب هو المسؤول الأول عن تربية أولاده، ورعايتهم وحفظهم من الانحرافات، لهذا يُوصى الأب بأن يحرص غاية الحرص على حسن انتقاء الخادمة المسلمة العربية - إذا دعت الحاجة - الملتزمة شرع الله، والكبيرة السن، والعارفة بشؤون تدبير المنزل، والمتزوجة مع مراعاة عدم تكليفها شيئًا من شؤون تدبير الأولاد المباشرة)[1].

(١) مسئولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة - عدنان حسن صالح باحارث - ص (٥٧٧-٥٧٩).

وفي الختـام

فهذه رسالة زوجة متألمة تشكو، ولكن لا أعتقد أبدًا أن كل ما تشكو منه كله في زوجها، وإلا فإنه لا يعاشر البتة، لذلك أحسب أنها مشاكل لزوجات كثيرات هي منهن، كل واحدة تشكو زوجها من جانب أو أكثر ولا نستطيع أن نتجمل أو نخفي الحقيقة، فهناك من الرجال من فيهم من هذه الصفات ولاشك، لذلك فأنا أسطر هذه الرسالة هنا كخاتمة لما كتبناه، لعل المقصر ينتبه، والغافل يستيقظ، والضال يهتدي، والمتكبر يتواضع، والفظ الغليظ يرحم ويتخلق بحسن الخلق.

(لماذا بعد كلمات الحب الرقيقة التي نسمعها في الأيام الأولى للزواج تتبدل هذه الكلمات من اللسان بزهق وكأن قائلها يعاني وهو ينطقها؟

ولماذا تبذل الزوجة كل ما في وسعها لاستقبال زوجها وهي مبتسمة ونظيفة وشعرها جميل فلا تجد سوى التكشيرة مقابل الابتسامة وتقول لزوجها حمد الله على السلامة فيكون رده هو: طيب؟

ولماذا لا تسمع الزوجة كلمة من فضلك لكي تعد الغذاء أوتضع كوبًا من الشاي أو تقوم بكي شيء يلبسه الزوج سريعًا، ولا تسمع كلمة متشكر لكل الواجبات التي تقوم بها؟!

لماذا تسمع الزوجة دائمًا أن هذا هو واجبك وهذا هو عملك ولا تسمع شيئًا عن حقوقها.

ولماذا لا تسمع الزوجة كلمة إطراء أو استحسان عندما تبذل أقصى ما في وسعها لفعل شيء لإرضاء زوجها؟

لماذا يبذل الزوج كل ما في وسعه لكي يكدر صفو زوجته، بكلمية جارحة.. وكأن كل هدفه هو أن يكسر قلبها لتعيش معه كسيرة ولا تقوى على أن تتكلم معه؟

لماذا يقابل الزوج ثقة زوجته فيه بأن يحاول دائمًا أن يشككها في تصرفاته حتى لا يطمئن بالها تجاهه ـ ابدا ـ ؟!

لماذا يتعمد إحراجها ومعاملتها معاملة خشنة وجافة أمام أهله وأصدقائه؟[1].

لماذا يراقب تصرفاتها وكأنها متهـمة طوال الوقت بالتقصير والإهمال رغم كل ما تبذله في حضوره وغيابه؟

لماذا يقابل الزوج مشاعر الحب والافتقار واللهفة بجفا وخشونة.

لماذا الجحود مقابل تضحـية الزوجة بصحتها ومالها ووقتـها وعمرها وكأن كل ما تفعله لا يساوي شيئًا؟

لماذا تجاهلها وتجاهل وجودها وإهمال مشاعرها وكأنها إنسانة بلا وجود؟

لماذا يباعد الزوج بينها وبين أهلها ويتعمد إحـراجها أمامهم بعد مجاملتهم له في الفرح والحزن والمرض وكأنها بلا زوج؟

لماذا يعـايرها الزوج بأهلها لعـدم زيارتهم لها ولا تسـمع منه إلا أفظع العـبارات المهينة لكرامتها وكأنها من الشارع وليس من بيت وأهل وأسرة؟

لماذا يزيد الزوج الضغوط النفسية على زوجته والأعباء المنزلية وهي تعمل وتنجح في عملها وتنجح في بيتها ومع أولادها؟

لماذا ينكر عليها أي عمل ناجح ينسب إليها؟

لماذا يفعل المـستحـيل لكي تفشل في أي عـمل تقوم به أو يظل وراء أي عـلاقة ناجحة لها مع الجيـران أو الأصدقاء حتى تفشل وتنكسر أمام جيرانهـا عندما يحرجها معـهم أو يتدخل بينها وبين صـديقاتها ويـزرع الشك في قلبها تجـاههن حتى تبتـعد عنهن؟!

(١) الأصل أن المرأة لا تظهر أمام أصدقاء الزوج إلا لحاجة شرعية.

لماذا حين تستطيع أن تفعل كل شيء وتستطيع أن تتصرف في مواجهة أي أزمة وتقف بجانبه حتى تمر الأزمة بسلام لا تجد منه سوى النكران والمعاملة الفظة وكأنه يخاف منها أن تتمرد عليه وكأنه لا يعرفها ويعرف أخلاقها؟

لماذا كلما عاشت الزوجة في هدوء وصفاء نفسي يزعجها بمعاملة خشنة أو يتفوه بكلمة جارحة لا تعني له أي شيء ولا تحقق له شيئًا سوى تكدير صفو زوجته ولا يستريح إلا عندما يرى دموعها؟!

لماذا كلما أحبته أكثر واقتربت منه لكي تبثه حبها ولهفتها يقابلها بجفاء؟

لماذا الإهانة والتجريح لأقل هفوة تصدر رغما عنها وكأنها ليس من حقها الخطأ أو التقصير؟

لماذا تسير الزوجة على حد السيف ولا تحيد عنه مهما يحدث وإلا يا ويلها؟

لماذا يشعر دائمًا أنها تسير في طريق مسدود من إتجاه واحد ليس فيه رجوع، ولا فيه بارقة أمل أو شعاع نور ينير لها طريقها؟

لماذا يناديها بأقبح الأسماء..؟

لماذا يفعل كل ما يضايقها ولا يفعل كل ما تحبه أو تطلبه؟

لماذا لا يقابل هديتها بهدية مثلها. ويتعمد ألا يوجد معها في يوم الأجازة ويتعمد أن يفتعل خصامًا حتى لا يتحدث معها. ،يقضي هذا اليوم مع والدته وليس معها..؟

لماذا يتعمد عندما تكون معه في زيارة أهله أن يتجاهلها وألا يشركها معهم في أحاديثهم؟!

لماذا لا يحب أن يخرج معها، وعندما تضطره لذلك فتكون الزيارة لأهله يظل يسبقها بعدة أمتار حتى لا يسير بجوارها، وعندما تسرع الخطى حتى تكون بجانبه لتشعر بأنها زوجة تخرج مع زوجها ويسعد بصحبتها يظل يصدها في كل كلمة ولا يرد عليها ويظل يسبقها وكأنهما في سبق للجري؟!

لماذا يكـون طيـبًا وحنـونًا وعـشـرته جمـيـلة وتسعـد به ثم في لحظات يتـحول لإنسان آخر وتظل حائرة ولا تفهم ماذا فعلت أو ماذا حدث وتدور في دائرة مفرغة لا تعرف مداها؟

لماذا تحترم خصوصـيـاته وأشياءه الخاصة ولا تلمسهـا، في حين يفتش هو أشياءها ويقرأ أوراقها ويراجع أرقام تليفوناتها على الـهاتف ليعرف من تحدثت إليه ومن طلبته وقد كان من الممكن أن يسألها وتحكي له دون أن يراقب تصرفاتها وكأنها متهمة؟

لماذا يهـددها دائمًا بتركـها أو بأنه يعرف إنسانه أخرى إن هي تهـاونت أو قصرت أو أهملت؟

لماذا كلما حاولت إفهامه أنها تحبه ولا تهمل شيئًا لأنه تحبه، ولا تقصر في شيء لأنها تحبـه وأنها ترعى الله في كل تصرفاتهـا معه ومع أبنائه وبيتـه لأجله فقط وليس للتهديد. . لماذا لا يصدق ذلك؟

لماذا يجبرها باستمرار على أن تفعل كل شيء بالقـهر والإهانة وقد كانت ستفعل كل شيء دون قهر ولا إهانة؟!

لماذا عدم الأمان، ولماذا الملل مع كل محـاولة للتغيير والتجديد، ولماذا يسـتغفلها وينقل إليها الإحساس بأنها دائمًا مغفلة لا تفهم ولا تعي شيئًا مما حولها؟!

لماذا كلما وجـدها سعيدة مع نفـسها يضـايقها. . وكلما وجـدها متجددة وأنيـقة وجميلة يخجلهـا ويصدها وكأنها شيء قبيح مهـما تفعل، في حين أن كل من يراهن غيرها أحسن وأفضل منها[1]؟

لماذا دائمًـا يهينهـا أمام الأبناء وهي تـعلمهم مـا هو الاحتـرام وما هي المعـاملة الحسنة؟!

---

(١) كما ذكرنا من قبل: لو أن الرجل يغض بصره عن المحارم؛ لوجد زوجته أجمل امرأة في العالم.

لماذا يكذب وهي تعلمهم عدم الكذب لأنه ليس من أخلاق المؤمن الحق؟

لماذا يظل يتحدث بصوت مرتفع ويشتم ويسب حتى يسمع الجيران صوته وهي تحاول تهدئته وإغلاق النوافذ والأبواب حتى لا يسمع صوته أحد؟!

لماذا تكون محاولة استفزازها هي الأساس بدلاً من المعاملة الطيبة؟

لماذا كلما حاولت معالجة الأمور بقراءة حديث شريف عن الرسول عليه الصلاة والسلام عن المعاملة الحسنة، ومعاملة أهله والأخلاق الحسنة، لعله يفهم منها الرسالة التي تحاول أن توصلها له، لا يفهم ولا يفعل سوى عكس كل هذا؟!

لماذ عندما تطلب منه أن يسأل عن جار مريض أوأحد من أهله لديه مصيبة لا يفعل. .وعندما لا تطلب منه ذلك يفعل هو كل هذا؟

لماذا يسعد بوحدتها ويقضي أي وقت فراغ له من عمله مع أي إنسان غيرها، أو مع التليفزيون بعد أن تنام؛ لكي يقضي حتى هذه الأمسية وحده؟!

هذه هي الأسئلة والتساؤلات التي تشغلني وتشغل غيري من النساء، وإنني أتعجب من الإنسان الذي يملك إسعاد نفسه وإسعاد أسرته ولا يفعل ذلك بأقل مجهود مما يبذله لمضايقتهم، كما أتعجب من أن يعمى الإنسان عن الحقيقة، فكل شيء في حياتنا موجود في القرآن والسنة لكي نقتدي به ونسير على نهجه لكي تمضي سفينة حياتنا في أمان ومع ذلك فلا يفعل.

إن كل ما أفعله هو أن أتصبر كما أوصانا الرسول الكريم ﷺ . وأن أظل أتقي الله وأحتسب أجري عنده وأعتبر هذا الزوج ابتلاء من الله ولابد لي من الصبر عليه والرضا بقضاء الله منه وأعيش معه راضية وصابرة. .وحتى هذه لم أسلم من سخريته منها، فكلما توجهت إلى الله بالصلاة والصيام وقراءة القرآن يستهزئ بي ويلقبني بلقب الشيخة، فأصبر وأحتسب. .

وأحث صديقاتي ألا يضعفن وألا يستسلمن وألا يملن بمشاعرهن نحو الإغواء والفتنة فيخسرون دينهن ودنياهن، وأن يلجأن للقرآن فيجدن سلواهن في السكينة التي تنزل على قلوبهن ونفوسهن، وألا يحاولن أن يقابلن سوء المعاملة وسوء العشرة بمثلها وأن يظللن على عهدهن وعلى حسن معاملتهن للأزواج لعلهم يشعرون بالذنب تجاهنا ذات يوم.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

سؤال المرء كاشف عن بعض أحواله! وتساؤلاتك الحائرة تدخل كلها في نطاق الشكوى من سوء العشرة وافتقاد التقدير العاطفي والمعنوي من شريك الحياة.

والإنصاف يقتضي القول: إنه ليس حالك وحدك ولا حال من تعرفين من الزوجات، مما يثير الأشجان والتأملات، وإنما هو أيضًا حال بعض الرجال مع زوجاتهم. والخطأ المشترك هو نظر البعض إلى شركاء العمر رجالاً كانوا أم نساء وكأنهم حقائق أزلية غير قابلة للتغير أو الفقدان. فلا ينشطون لتنبيه المشاعر وتجديد العواطف، بالقاء قطع جديدة من الأخشاب كل حين إلى المدفأة لكي يستمر لهيبها متراقصًا ولا يخمد بطول الإهمال وتجاهل الاحتياج إلى مدد الوقود كل حين.

ويعتمدون على اطمئنان الغافلين إلى أن يربطهم بشركاء الحياة من الأبناء والحرص المشترك على سعادتهم، يغنيهم عن الخوف الصحي المطلوب من فقد الشريك أونفور مشاعره أو ضيقه ذات يوم بكل شيء.. فنحن نحرص على مشاعر الآخرين خوفًا من فقدهم لأنه لا يجمع بيننا وبينهم سوى حسن المعاملة. فإذا أساءها أحد معنا انقطع حبل الود معه. وانصرفنا عنه بلا ندم في حين لا نستشعر نفس هذا الحرص على شريك الحياة اعتمادًا على أن علاقته بنا غير قابلة للانفصام، وهذا خطأ كبير بغير جدال. فكل شيء في تغير إلا قانون التغير.

ولابد دائمًا من رعاية الحب باستمرار لكيلا تذبل زهوره سريعًا مهما يكن عمق العاطفة عند بداية المشوار.

ولابد من الحرص المتبادل بين الطرفين على تأجيج المشاعر لكيلا نستسلم للفتور الذي يمهد لموت العاطفة أو تحجرها، إلى جانب احترام الكرامات والحرص على اللفتات العاطفية ومكافأة الحب والرعاية والاهتمام بما يماثلها أو يزيد عنها، والتقدير المشترك من كلا الطرفين للآخر ولدوره في حياته وحياة الأسرة، والاعتراف له بمزاياه الشخصية بل والفخر بها دون أدنى شعور بالنقص أو بالرغبة في خنق البذور وهي في الأرض لكيلا تترعرع وتملأ الجو المحيط بأريجها.

كما لابد كذلك من الصبر والتسامح والتجاوز عن الأخطاء والهنات. وقديمًا قال محمد بن واسع في كتاب (الإمتاع والمؤانسة) لأبي حيان التوحيدي: ينبغي أن يكون الرجل مع المرأة كما يكون أهل المجنون مع المجنون يحتملون منه كل أذى ومكروه!

وهي كلمة بليغة. لكنها تنسحب في واقع الأمر على كلا الشريكين اللذين ينبغي أن يتحمل كل منهما من الآخر في بعض الأحيان ما يتحمله الأهل ممن أفلت زمامه.

ولولا ذلك لما صمدت علاقات كثيرة لعاديات الأيام ولما نجحت أسر سعيدة من خطر الانهيار في إحدى اللحظات العابرة؟[1]

---

(١) جريدة الأهرام المصرية. بتصرف يسير.



الفهرس

الموضـــوع	صفحة

